مواقع النجوم

ومطالع اهلة الاسرار والعلوم

(النّص المُحقّق)

شیخ اکبر محی الدین محمد ابن العربی

الطائی، الحاتمی، الاندلسی

تصحیح عربی متن

احمد محمد علی

تحقیق و ترجمہ

ابرار احمد شاہی



ابن العربی فاؤنڈیشن

www.ibnularabifoundation.org

نام کتاب : مَوَاقِعُ النُّجُوم وَمَطَالِعُ اَهِلَّةِ الْاَسْرَارِ وَالْعُلُوم

تصنیف : شیخ اکبر محی الدین محمد ابن العربی

تصحیح : شیخ احمد محمد علی

تحقیق و ترجمہ : ابرار احمد شاہی
0334-5463996

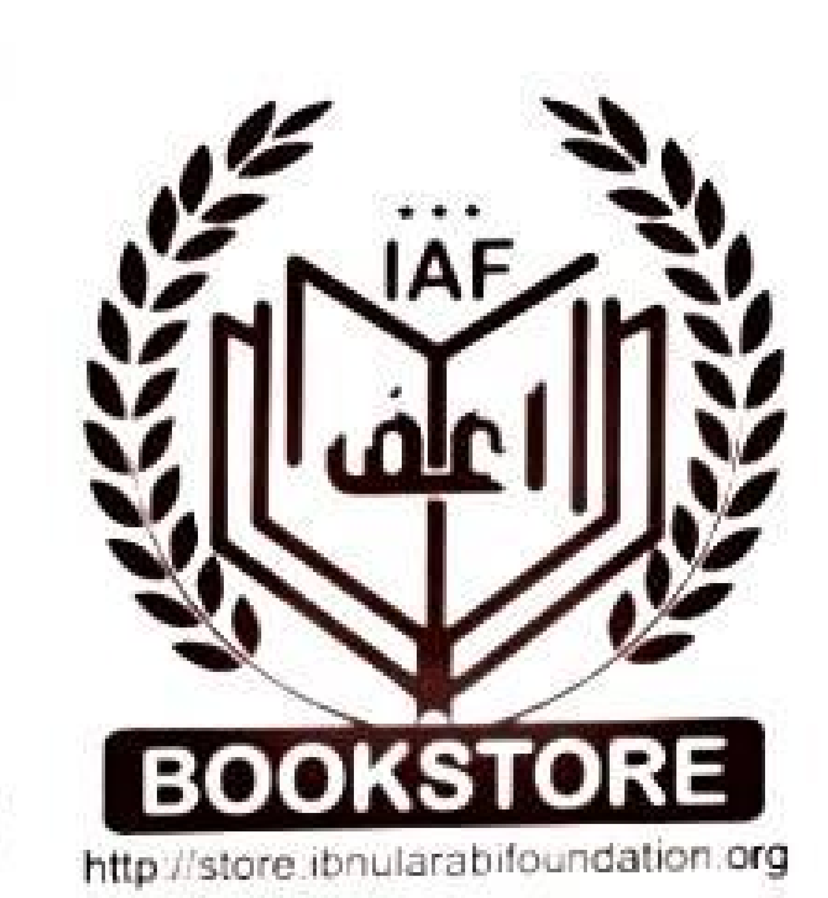
ایڈیشن: دوسرا، اکتوبر ۲۰۲۲ء


نشرواشاعت: ابن العربی فاؤنڈیشن

ISBN: 978-969-9305-23-8







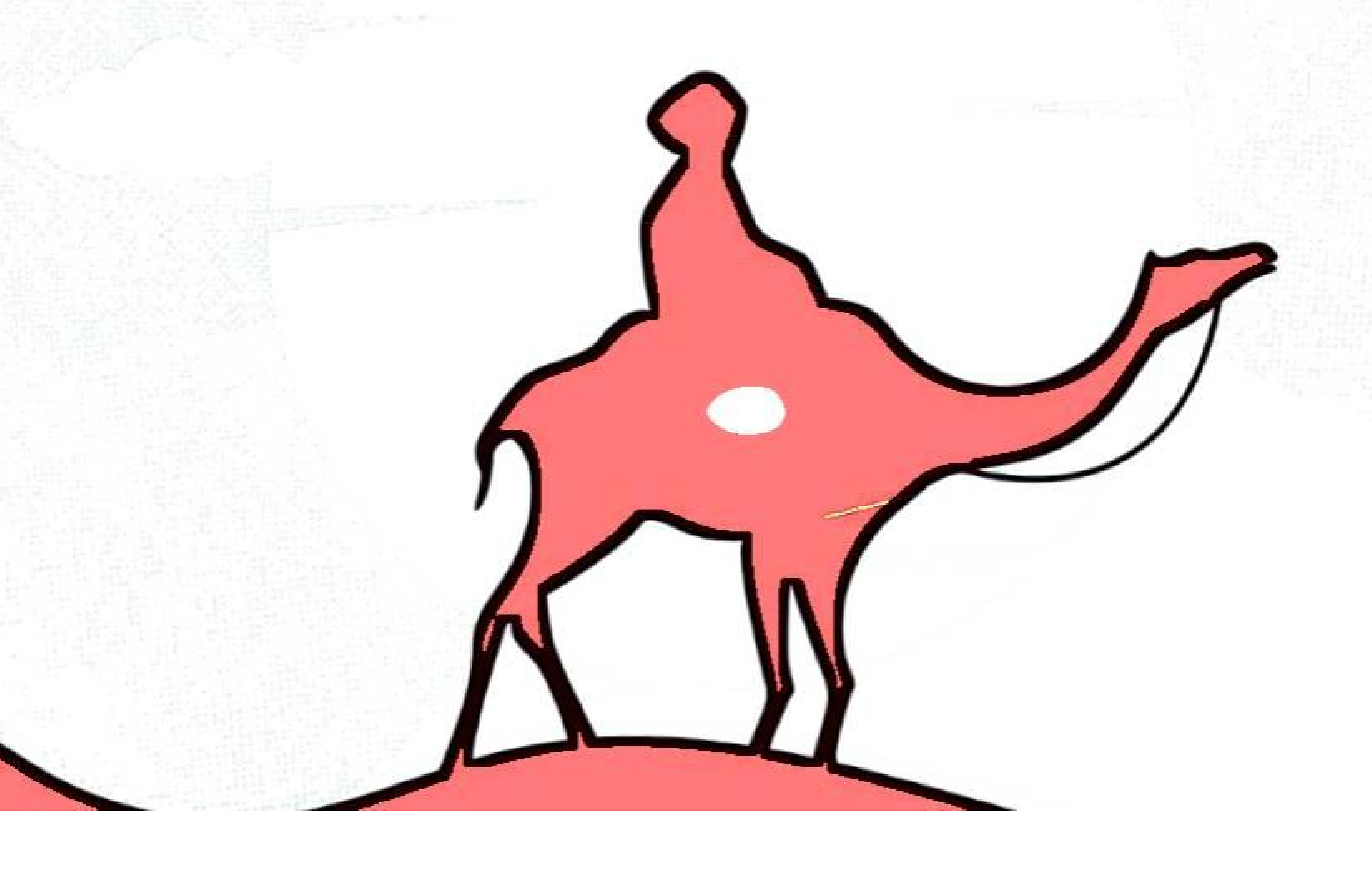

الإهداء
إلى
عبدالله بن ذري الحبشي

مواقع النجوم
ومطالع أهلة الأسرار والعلوم

باب في السبب في تأليف هذا الكتاب وبرنامجه

لمّا شاء - سبحانه - أن يُبرز هذا الكتاب الكريم إلى وجوده، ويُتحف خلقه بما اختزنه لهم من لطائفه وبركاته في خزائن جوده، على يدَيْ مَن شاء من عبيده[1]؛ حرّك خاطري إلى إنضاء[2] المطيّة من مُرسيّة إلى المريّة. فامتطيتُ الرّحال، وأخذت في الترحال، مرافقًا أطهرَ عصبةٍ وأكرم فئة، سنة خمس وتسعين[3] وخمسمائة.

27 شعبان 595هـ



مَوَاقِعُ النُّجُوم

وَمَطَالِعُ أَهِلَّةِ الأَسرَارِ وَالعُلُوم

شیخ اکبر محی الدّین مُحمّد ابن العَربی
الطائی، الحاتمی، الاندلُسی

مَوَاقِعُ النُّجُومِ وَمَطَالِعُ أَهِلَّةِ الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ[1]

---

(١) بعد العنوان مباشرة ما يلي:

ق: [العنوان ص ٣] "..... وقدوتنا... الشيخ الإمام العالم الراسخ محيي الملة والدين أبي عبد الله محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي رضي الله عنه وأرضاه".

ثم: "مما استنسخه لنفسه العبد الفقير إلى الله تعالى محمد بن إسحق بن محمد غفر الله له ولوالديه، ونفعه بكل علم مقرب منه نافع لديه."

ثم: 6397 و تحتها 94-33. ثم: "استفاد منه نظرًا وتعليقًا الملتجي إلى حرم الله تعالى محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، كان الله له– في عام ثمانين وسبعمائة". و يجانبها إشارة تعريف بالكاتب هي: "هذا بخط صاحب القاموس".

وفي أعلى ص ٤ نجد العبارة الآتية: "وقف الشيخ الإمام العالم الراسخ صدر الدين أبو المعالي محمد بن إسحق بن محمد رضي الله عنه وأرضاه على الدار الكتب المنشأة عند قبره لينتفع به سائر المسلمين وجمهور المؤمنين في موضعه بشرط أن لا يخرج منها البتة.... ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾."

ثم: "............. قدوتنا إلى الله تعالى الإمام العالم.... محمد بن علي بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي رضي الله عنه، بإذن الشيخ.... وكمل السماع في يوم السبت...... (وستمائة) فالحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.... في محروسة دمشق.... رضي ا لله عنه وأرضاه".

وتلى ذلك إجازة الشيخ الأكبر بخطه له برواية كتابه هذا عنه بعد قراءته عليه وهي: "تمت قراءته عليّ.... وأذنت له أن يحدث بهذا الكتاب عني، وكتب ابن العربي بخطه في تاريخه".

ثم بعد هذا: شرح كليات من الاصطلاح المذكور في هذا الكتاب.

موقع النجم هو ظهور أول الخاطر التوفيقي في الباطن، فعند ما يستقر ويكسوه العبد حلة عملية يصير هلالا، فإن كان داخلا إلى ربه كان هلال محاق، وإن كان خارجا إلى الخلق كان هلال ارتقاب. ثم سئل الشيخ المصنف رضي الله عنه: لم قدم هلال المحاق على هلال الارتقاب؟ فقال رضي الله عنه: لأن الناس إنما يرقبون ما يخرج به الداخل على الله تعالى فكان هلال المحاق هو الأصل لأوّلية لقاء الله تعالى.

ومن ذلك النجم لعالم الشهادة وأحد الهلالين لعالم البرزخ وهو الوسط وهو عالم الجبروت في اصطلاحه رضي الله عنه. والمقام الإيماني، والآخر لعالم الرحموت وهو عالم المعاني. وللإنسان ثلاث مراتب: فهو في مرتبة إسلامه نجم يُرى في عالم الشهادة، وهو في مرتبة إيمانه هلال وفي مرتبة احسانه قطب يحيي ويميت.

فالإسلام: الإنقياد الظاهر. والإيمان: الإنقياد الباطن المشرق؟ والإحسان: العبادة على المشاهدة. ومعقل أنسه هي الحضرة التي يستمد منها القطب، ومنه كونه قطبا، أو أي مرتبة كان للمستمد منها المدد فهي معقل أنس لذلك المستمد من تلك الحضرة، أي حضرة كانت؛ إحسانية أو إيمانية أو إسلامية، فاعلم ذلك.

قال: مواقع النجوم قلوب العارفين، ومشارق الشموس أسرارهم، ومطالع البدور حقائقهم، فأقمار ... حال، وإهلالها بقاياهم معهم، وأنوار البروق تنزل رحمة عن.

س: من إنشاء الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع، شيخ العارفين، قدوة المحققين، محيي الدين، أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن العربي الحاتمي الطائي، قدس الله روحه العزيز".

ثم: "صاحبه العبد الفقير إلى رحمة العلي الكبير، محمود بن علي بن أبي بكر بن أحمد بن أبي المظفر الجوشقاني الاسفراييني، أسعده الله في الدنيا والآخرة، بحق محمد وآله أجمعين".

ثم: "ألفه شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى الشيخ الأوحد العلامة الراسخ، جامع الجوامع وبرزخ البرازخ، أكمل ورثة أكمل الأنبياء والمرسلين، قدوة العارفين بالله في العالمين، محيي الحق والدين، أبو عبد الله محمد بن علي بن العربي الحاتمي الطائي

الأندلسي رضي الله عنه وأرضاه به".

وفي الجزء الأيمن: "انتقل بالبيع الشرعي إليّ، وأنا الفقير إلى الله الكامل، محمد بن محمد طاهر واصل، عفى عنهما".

ثم: "نزّه هذا الكتاب الجليل قدرا محمد منصور الفقير من موضع كان فيه نزلا ولم.."

ثم: "ساقته (النوبة؟) بحكم المبايع إلى العبد الضعيف... الله فضل الله الهروي في شهر صفر سنة اثنين وخمسين وسبعمائة بمدينة السلام بغداد".

وعلى يسار العنوان: "متع به وبأمثاله"، "من كتب العبد الفقير إلى الله...... عبد الله".

وفوق اسم الكتاب كلمة "وقف" وعليها ختم مربع فيه: "نظام الدين..." ويجانبها "كتبه الفقير إلى الله تعالى... عبد... المجد النيلي؟ رضي الله عنه"

ش: من عوار الزمان الفاني وقع في نوبة الفقير إلى الله الغني الشيخ إسماعيل بن علي القادري والحمد لله على احسانه والصلاة على أفضل خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ونفعنا الله تعالى بما في هذا الكتاب من أسراره، آمين.

ثم: ملك هذا المجلد الفقير إلى الله تعالى أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف ابن البرزالي؟ لولده محمد على أن ينفع به بين المسلمين بمقتضى وصيته ... إليه بذلك ... الملك المذكور في مستهل ربيع الأول سنة أحد وسبعمائة أحسن الله ... الحمد لله رب العالمين.

ثم: انتظم في سلك ملك أضعف العباد عبد الرحيم بن علي بن المويد في ثامن رمضان سنة تسع وثلاثين وتسعمائة هجرية، والحمد لله وحده.

ثم: انتقل إلي ملك ملك من انسلك في طريقة السيد الشريف الشيخ عبد القادر في عنفوان شبابه بل من زمن لا يقدر فيه على اكتساء ثيابه مصطفى القادري طريقة والحنفي مذهباً، حشرنا الله تعالى تحت لواء الحمد بمحمد وآله.

ثم وهبته لصاحبنا الفقير إلى الله الغني جلال بن حسين الاتابكي في أواخر شهر ربيع الآخر لسنة إحدى وأربعين وتسعمائة ... أضعف العباد عبد الرحيم الموندي عفي عنهم.

ب: السطر الأول: كتبخانه آصفيّه. حيدر أباد دكن. نمبر (أي رقم) ٥٨.

وفي وسط الصفحة: "مواقع النجوم. للشيخ الأكبر ﷺ آمين". يليه إشارة إلى ما يتضمنه المخطوط، وهي: "مجموعة (١) تاريخ ولادة الشيخ محيي الدين (٢) عقيدة (٣) مواقع النجوم للشيخ الأكبر (٤) قصيد محيي الدين" وأسفل الصفحة ذكر تاريخ الكتابة والناسخ: "٣ رأمرداد سنة ١٣٢٤ ف. نواب الدين صدر، مدرس دار العلوم". وفي الصفحة الثانية: "دور يكشنبه سلخ ربيع الأول سنة ١٢٩١ه ازُمنشي سيّد علاء الدين". ثم كتب نبذة عن تاريخ ولادة الشيخ محيي الدين كما يلي: "بسم الله الرحمن الرحيم. صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. ولد الشيخ محيي الدين ﷺ ليلة الجمعة، السابع والعشرين من شهر رمضان سنة أحد وستين وخمسمائة (الصواب ليلة الاثنين ١٧ رمضان سنة ٥٦٠). وكانت وفاته ﷺ عند ليلة الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمائة. فكان مدة عمره سبعة وسبعين سنة وستة أشهر وخمسة وعشرين يوما ﷺ. ودفن بمقبرة القاضي محيي الدين الزكي للشيخ!! (لعله يقصد: بسفح) قاسيون من دمشق المحروسة، عَمَر الله تعالى". وأردف في نهاية ص ٢ والنصف الأول من ص ٣ ما يلي: "للشيخ الأكبر ﷺ.

من للكئيب ومن للهائم الدنِفِ أموت عِشقًا فواشوقي ووالَهَفي

قال الشيخ الكامل المكمل محيي الدين بن العربي: هذا أول بيت فاه به الجنان ونطق به اللسان. وقال الشيخ محيي الدين ﷺ: أُرِيتُ في المنام كأن الله يناجيني، يقول لي: يا عبدي؛ إن أردت أن تكون عندي مقرّبا منعمّا فأكثر من قولي: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾. برز ذلك عليّ مرارا. وقال أيضا ﷺ:

وكُدْتُ بِلا وَجْدٍ أموت من الهوىٰ وهام عَلَيَّ القَلبُ بالخفقان

فلا أراني الوجد أنك حاضري شَهِدْتُكَ موجودا بكلِّ مكان

فخاطبتُ موجودا بغير تكلّمٍ ولاحظتُ معلوما بغير عيان

وبدأ نص الكتاب "مواقع النجوم" بعد هذه المقدمة.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

[مقدمة]

الحمد لله الحيّ القيّوم. المقسِم بمواقع النجوم. واهِبِ الحِكم الرَّبّانيّة أسرارَ الأرواح في غيابات الجسوم، من الحضرات العُلَى إلى تحت التخوم، فيّاض النور الفاصل بين أهل الهمم والرسوم. مؤتي[2] الحكمة مَن شاء[3] من

---

[1] ق، ش: [ش: + وما توفيقي إلا بالله] قال العبد الفقير إلى الله تعالى مُستَرَق الحضرة الإلهية محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي، ختم الله له بالحسنى.
د: وصلى الله على محمد وآله وسلم. قال الشيخ الفقيه الإمام الروحاني مسترق الحضرة الإلهية أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي الأندلسي رضي الله عنه.
س: وصلى الله على محمد وآله أجمعين، قال العبد الفقير إلى الله تعالى مسترق الحضرة الإلهية، ختم الله له بالحسنى.
ع: اللهم صلّ على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم. قال سيّدنا الشيخ الإمام العارف القدوة، محيي الدين، محمد بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي ثمّ الأندلسي رضي الله عنه. وأضاف ب: صلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم. وهناك ختم بيضاوي الشكل فوق البسملة في س وفيه: "كتابخانة مجلس شوراي ملّي..." وأضاف ز: قال العبد الفقير إلى الله تعالى مسترق الحضرة الإلهية، محمد بن علي بن محمد العربي الحاتمي الطائي، ختم الله له بالحسنى، ونوّر مضجعه ومثواه، ونفع به في الدارين.

[2] ش: يوتي.

[3] ش، د، ع، ب، ز: يشاء.

عباده، لا بشرطٍ معلوم. ولا بحدٍّ مرسوم. بل رزقٌ مقسوم، وخاصيةٌ يؤتيها مَن يشاء وهو العليم الحكيم.

والصلاة على الدُرّة البيضاء، والزبرجدة الخضراء. والنُّور الأبهر، والضياء الأزهر، الإمام الأظهر، صاحب الثوب الأطهر، الإكسير الأكبر، والكبريت الأحمر؛ محمد بن عبد الله، النبيّ المصطفى المعصوم. المعطَى[1] لواء الخلافة والتقديم. قبل إيجاد الكون والتقسيم، بالمقام العظيم، في حضرة القديم، حتى برز في عالم التخطيط والتجسيم، بأسرار التعذيب والتنعيم. فعاش بموجده العليّ إلى أجله المسمَّى دون خليلٍ ولا حميم. ثمّ كرّ راجعًا من عالم التركيب والتجسيم، من غير مفارقةٍ إلى موجده الكريم، وترك لواء الإمامة شورىٰ بين أهل الأسرار والتفهيم. فما زال يتلقّاه كلُّ ذي حَسب إلهيٍّ صميم، من كُلِّ ذي شرفٍ إحاطيٍّ عميم. حتى ينتهي إلى الختم المعلوم،[2] الجامع بين النبوّة والولاية الموسوم. الخاتِم – أيضًا – لدورة الفلك الترابي المضاهي ذات الأب المجتبى المرحوم، صلّى الله عليه وعليهم وعلى آله أفضل صلاة، وسلّم أعمّ تسليم.

أمّا بعد: فيأذا العقل السليم، والمتّصف بأوصاف الكمال والتميم؛ فإنّي وضعت هذه الرِّسالة الموسومةَ (بـ)"مَوَاقِعُ النُّجُومِ، ومَطَالِعُ أَهِلَّةِ الأَسْرَارِ وَالعُلُومِ" لكُلّ مسترشدٍ فهيم، ومتبحّرٍ عليم، وأصحابِ الشُّرب من العين الصافية، والممزوجة بالكافور والتسنيم. وليس لكلّ شارب؛ إلاّ لمن شَرب شُرب[3] الهيم.

فالنجوم منها[4] للطالب الفهيم، والأهلّة للربّانيّ الحكيم، المحقَّق بأسرار

---

[1] ش: – المعطى.

[2] المراد هنا المسيح عليه السلام.

[3] ش: الشرب.

[4] اي من المقامات.

الأخلاق والعلوم. فأنا أتردّد فيها بين غَرِيم وعَديم؛ قاضيًا لهذا بالتحكيم، وحاكمًا على الآخر بالترسيم. ولكلّ موقع نجم من المراتب طلوعٌ هلاليٌّ خاتم ومختوم؛ موقعٌ شريفٌ مفهوم، وطلوعٌ لازمٌ محتوم. ووضعتُها رجاءَ بقاءِ لسان الصّدق بالجلال والتعظيم، إلى أوان انفصال الأطيار من أقفاصها، واتّصالها بروضة المشاهدة ومشافهة التكليم. ووسيلةً لحضرة كُلِّ إمام عارف، وعَلّام واقفٍ، ذي مشهدٍ إلهيّ، وكَشفٍ ربّانيّ، وصمدانيٍّ متحنّث، وصِدّيق محَدَّث، ومالِكٍ لا يملك، وهالِكٍ لا يهلك، ومحـدَثٍ قديم ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٧﴾﴾[1].

كما أطلعتُه[2] شمسًا مشرقة، وأبرزته روضةً مُونقة[3]، يَسعى لوميض أنوارها ويَستنشق من نفحات أزهارها؛ مَن فارَقَ أوطانه وهجَرَ إخوانَه، ونزح عن بلاده، وطلب الحقّ - تعالى - متجرّدًا عن عباده: فاخترقَ الأمصار، وركبَ البحار، ونأتْ به الدار، وابتغى إماما يوصله إليه، وحاجبًا يدخله عليه، وهيّأ ذاتَه للقبول، وكان بنفسه المرسِل والرسول، فكان دَاعِيه من قلبه إلى طلب معرفة ربّه؛ فذلك الابن الطاهر النقيّ، الزاهد الفاضل السَّرِي أبو محمد عبد الله بدر الحبشي الحرّاني اليمني على المنهج القويم، لمّا وقف لي - وفّقه الله[4] وسدَّده توفيق الصّدّيقين - موقفَ تعليم، وسألني إيضاح طريق ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[5]، منح اللهُ الكُلَّ سَرائر الكيان بفضله العظيم. وها نحن نشرع في الغرض المقصود - إن شاء الله - بعد باب نقدّمه في سبب هذا التأليف وبرنامجه، وعلى الله بالهداية إلى الصراط المستقيم.

---

[1] [التوبة: ١٢٨]

[2] س: كتب "ها" قريبا من حرف الهاء، لاحتمال قراءتها: "أطلعتها".

[3] س، ز: مورقة.

[4] س: + تعالى.

[5] [الشعراء: ٨٩]

باب في السبب في تأليف هذا الكتاب وبرنامجه

لمّا شَـاء - سبحانه - أن يُبرز هذا الكتاب الكريم إلى وجوده، ويُتحفَ خلقَه بما اختزنه لهم من لطائفه وبركاته في خزائن جوده، على يَدَيْ مَن شاء من عبيده[1]؛ حرّك خاطري إلى إنضاء[2] المطيّة من مُرسيّة إلى المريّة. فامتطيتُ الرِّحال، وأخذت في الترحَال، مرافقًا أطهرَ عصبةٍ وأكرم فئة، سنة خمس وتسعين[3] وخمسمائة.

فلمّا وصلتُها لأقضي أمورًا أمّلتهَا؛ تلقّاني رمضانُ المعظّم بهلاله، وصافحني على مسامرته بها إلى أوان انفصاله. فألقيتُ بها عَصَا التسيَار، وأخذتُ في الذكر والاستغفَار، وكان لي أكرم جليس وأحسن أنيس. فبينا أنا أتبتّل وأتخشّع ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴿٣٦﴾﴾[4]، وقد أقمرَ هِلالُه، وفاز بما مضى من أيّامه ولياليه رِجالُه، إذ أرسَل إليّ - سُبحانَه - رسولَ إلهامه، ثمّ أردفه مؤيّدًا بما أوحاه[5] للابن التقيّ في منامه. فوافق المنامُ الإلهامَ، ونُظِم عِقدُ الحِكَم في هذا الكِتَاب أبدعَ نظام، وعلمتُ عند ذلك أني[6] كما ذكرته: "مَن شاء مِن عباده" في إبراز هذا الكتاب وإيجاده، وأنّي الخازن على هذه المعالم، والمتحكّم في هذه المراسم. فنفثَ في روعي رُوحُهُ القُدسيّ، وطلع بأُفقِ سماء هِمّتي "بَدْرُهُ النَّدُسِيّ[7]"؛ فانبعثَ الروحُ العقليُّ لتصنيفـه، وتوفّرتْ دواعيِه لتأليفه، ونظر الروحُ

---

[1] ش: عباده.

[2] رسمها في د: إنظاء.

[3] ش: وسبعين وفوقها علامة بأنها غلط.

[4] [النور: ٣٦]

[5] د، س، ز: أوحى

[6] ق، ش، ع، ز، ب: أنني.

[7] الندس: الفهم الفطن، الرجل السريع الاستماع للصوت الخفي،

الفكريُّ في تكييفه؛ فرتّبه ثلاثَ مراتب، وسلَك فيه أنجحَ المذاهب.

المرتبة الأُولَى: في العنَاية، وهي التوفيق.

والمرتبة الثانية: في الهداية، وهي عِلْم[1] التحقيق.

والمرتبة الثالثة: في الولاية؛ وهي العمل الموصِّل إلى مقام[2] الصِـدّيق. وهو الذي يرفع الكلِم الطيّب إلى المستوىٰ الأعلىٰ، ولا يوجَدان ما لم يُسَاعد التوفيق بِسُلَّمه الأسنى، المزلَف عنده في الآخرة والأُولَى.

وجعلتُ هذه المراتب تحوي[3] علىٰ تسعـةِ أفلاكٍ، تدور من مركـز الإهلاك إلى مستوىٰ الأملاك؛ منها:

ثلاثة أفلاك إسلاميّة: أوّلها، ورابعها، وسابعها.

وثلاثة أفلاك إيمانيّة: ثانيها، وخامسها، وثامنها.

وثلاثة أفلاك إحسانيّة: ثالثها، وسادسها، وتاسعها.

فالثلاثة الإسلاميّة؛ مواقعُ نجوم البدايات، وما بقي فمَطالِع أَهِلّة النهايات.

فالإسلاميّة: جسمانيّة. والإيمانيّة: نفسانيّة. والإحسانيّة: روحانيّة. وجعلتُ بعد كلّ فَلَكٍ إحسانيٍّ مَعْقِلَهُ[4] الذي يتعشّقه ويسكن إليه. وجعلتُ الهلالَ الأوّل في كلّ مرتبةٍ هلالَ مُحاقٍ. والهلالَ الثاني هلالَ ارتقابٍ في جميع الآفاق. ولوجود هذين المقامين، جعلتُ في كلِّ مرتبةٍ هلالين، وجعلتُ الفلَك الخامس مَشرقًا لثمانية أنوار، وجعلتُ هذه الأنوار تسبَح في ثمانية أفلاكٍ: حِسّيّة وغيبيّة تدور في الموقع الإسلامي من المرتبة الثالثة.

ثمّ ختمتُ الكتابَ بفصلٍ شريفٍ فيه مواقعُ نجومٍ ومَطالِعُ أَهِلّة، توضّح

والمقصود به هنا: بدر الحبشي.

[1] ق: عَلَم.

[2] س، ش، ع، ز: المقام.

[3] د: تجري.

[4] المعقل: الحصن.

مقاماتٍ وتُرتِّبُ أَدِلّة. وعزمتُ أن لا أُوْدِعَ فيه لغيري نثرًا ولا نظمًا، ولا أجعل لسواي عليه قضاءً ولا حكماً. فأنا في هذا المجموع وغيره أتلقّى من الملِك ما يَرِدُ به عليّ الملَك.

قال العبد: ولمّا انتهى الكتابُ وترتّبتِ الأبواب، علوتُ أعوادَ التشريف، ووجّهتُ الابن الأنجب المبارك الأزكى "بدر الدين[١]" بالتعريف، إلى أهل التبحُّر في المعارف والتوقيف، وقُمتُ في الملأين منشِدًا:

نَحْنُ سِرُّ الأَزَلِي ... بِالوُجُودِ الأَبَدِيْ

إِذْ وَرِثْنَا خُلُقَ الطَّاهِرِ فِينَا الهَاشِمِيْ

واعْتَلَيْنَا واسْتَوَيْنَا ... بِالمَقَامِ القُدُسِيْ

ووَهَبْنَا مَا وَهَبْنَا[٢] ... سِرَّ بَدْرِ الحَبَشِيْ

وبَعَثْنَاهُ رَسُولًا ... للرَّئِيسِ النَّدُسِيْ

بِكِتَابٍ رَقَمَتْهُ ... كَفُّ ذَاتِ

بِعُلُومٍ وَسَمَتْهَا ... مَوْقِعَ النَّجْمِ العَلِيْ

وَمَطَالِع هِلَالَيْنِ ... بِأُفُقٍ قُطُبِيْ

حَرِّضِ النَّاسَ عَلَى نَيْلِ الوُجُودِ العَمَلِيْ

وَنِهَايَاتِ التَّلَقِّي ... بِالمَقَامِ الخُلُقِيْ

وَمَشَتْ أَسْمَاءُ ذَاتِي ... فِي وَضِيعٍ وَعَلِيْ

فالَّذِي آمَنَ مِنهُمْ ... لَمْ يَزَلْ حَيًّا بِحَيْ

والَّذِي أَعْرَضَ مِنهُمْ ... لَمْ يَفُزْ مِنَّا بِشَيْ

---

[١] يقصد عبد الله بن بدر الحبشي

[٢] ق: وُهِبْنَا.

فهرست الكتاب

المرتبة الأُولَى: في توفيق العناية

الموقع الأوّل التوفيقي: ترجمتُـه؛ نجمُ عنايةٍ وقع بقلب الإمام المدبِّر في عالم الشهـادة؛ فسَطَاَ. وهو الفلك الأوّل الإسلامي.

المطلع الأوّل الوفاقي: ترجمتُـه؛ هلال محاقٍ طلع بنفس الإمام المدبِّر في عالم الجبروت والملكوت؛ فغطى[1]. وهو الفلك الثاني الإيماني.

المطلع الأوّل الإلِّي والإلهي: ترجمتُـه؛ هلالُ ارتقاب طلع بروح القطب في برزخ الرحموت والرهبوت؛ فمنع وأعطى. وهو الفلك الثالث الإحساني. يتلوه مَعْقِلُ أُنْسِه.

المرتبة الثانية: في علم الهداية

الموقع الثاني العِلمي: ترجمته؛ نجم هدايةٍ وقع بقلب الإمام المدبِّر في عالم الشهادة؛ فأهدىٰ، وهو الفلك الرابع الإسلامي.

المطلع الثاني العياني: ترجمتُه؛ هلالُ مُحاقٍ طَلَعَ بنفس الإمام المدبِّر في عالم الجبروت والملكوت؛ فاهتدىٰ. وهو الفلك الخامس الإيماني. وهذا الفلَك مَشْرِقٌ لثمانية أنوار قُدسيّة؛ وهي: الشمس، والهلال، والقمر، والبدر، والكوكب الثابت، والبرق، والنار، والسراج.

المطلع الثاني الإلِّي والإلهي: ترجمته؛ هلالُ ارتقابٍ طلع بروح القطب في برزخ الرحموتِ والرهبوت؛ فأضلّ وهدىٰ. وهو الفلَك السادس الإحساني. يتلوه مَعْقِلُ أُنسه.

---

[1] ش: فعطا.

المرتبة الثالثة: في عمل الولاية

الموقع الثالث العملي: ترجمتُه؛ نجمُ ولايةٍ وقع بقلبِ الإمام المدبِّر في عالم الشهادة؛ فعنا. وهو الفلك السابع الإسلامي. وفي هذا الموقع أفلاكُ الأنوار الثمانية التي في مطلع الهلال الإيماني من المرتبة الثانية، وهي ثمانية أفلاك: فلك السمع، وفلك البصر، وفلك اللسان، وفلك اليد، وفلك البطن، وفلك الفَرج، وفلك الرِّجل، وفلك القلب.

المطلع الثالث الخُلُقي: ترجمته؛ هلال محاقٍ طلع بنفس الإمام المدبِّر في عالم الجبروت والملكوت؛ فهَنَّا. وهو الفلك الثامن الإيماني.

المطلع الثالث الإلِّي والإلهي: ترجمته؛ هلالُ ارتقابٍ طلع بروح القطب في برزخ الرحموت والرهبوت؛ فأفقر وأغنى. وهو الفلك التاسع الإحساني. يتلوه مَعْقِلُ أُنْسِه.

ثمّ يتلو هذا المعقِل الفصل الذي به خاتمة الكتاب.

قال العبد: فهذه فهرسةُ الكتابِ مرتّبة الأبواب على حسب ما يأتي – إن شاء الله –. ومِن موجِد الكون نسأل التأييدَ والعون. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم. وحسبنا الله ونعم الوكيل في كلّ موطن.[1]

---

[1] د: – في كل موطن.

ق (في الحاشية): بلغ سماعا ومقابلة على الشيخ المنشئ رضي الله عنه بقراءة ابن إسحاق.

[illegible]

المرتبة الأُولَى: في توفيق العناية

الفلك الأوّل الإسلامي

نجم عنايةٍ وقع بقلب الإمام المدبّر في عالم الشهادة[1]؛ فسطا

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلّى الله على سيّدنا[2] محمد وآله وسلّم.[3]

يا "بَدْرُ" بَادِرْ إِلَى الْمُنَادِي كُفِيتَ فَاشْكُرْ[4] ضُرَّ
قَدْ جَاءَكَ النُّورُ فَاقتَبِسْه[5] وَلَا تُعَرِّجْ عَلَى السَّوَادِ
فَمَنْ أَتَاهُ النُّضَارُ[6] مَاءً يَزْهَدُ فِي الخَطِّ بِالْمِدَادِ
فَقُمْ بِوَصْفِ الإِلَهِ وَانْظُرْ إِلَيْهِ فَرْدًا عَلَى انْفِرَادِ
وَحَسِّنِ[7] السَّمْعَ إِذْ تُنَادَى وَخَلِّصِ القَوْلَ إِذْ تُنَادِي
والْبَسْ لِمَوْلَاكَ ثَوْبَ فَقْرٍ كَيْ تَحْظَ بِالوَاهِبِ الجَوَادِ
وَقُلْ إِذَا جِئْتَهُ فَقِيرًا: يَا سَيِّدًا وُدُّهُ اعْتِمَادِي
اسْقِ شَرَابَ الوِصَالِ صَبًّا مَا زَالَ يَشْكُو صَدَى البِعَادِ
تَاهَ زَمَانًا بِغَيْرِ قُوتٍ إِذْ لَمْ يُشَاهِدْ سِوَى العِبَادِ
فَكُنْ لَهُ القُوتَ مَا اسْتَمَرَّتْ أَيَّامُهُ الغُرُّ بِاقْتِصَادِ

---

[1] "بقلب.. الشهادة" وردت في ق، س، ب، ز: "بالقلب" فقط.

[2] س: – سيدنا.

[3] د: – وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم.

[4] د: شر الاعادي.

[5] ق، ش، ع، ز، ب: فاعتقله. د: فاقتبس.

[6] النُّضار: النبع، الذهب، الخالص من كل شيء.

[7] س، ع، ز: وحصن، ب: وخلّص.

حَتَّى يَمُوتَ العَذُولُ[1] صَبْرًا — وَتَنْطَفِي جَمْرَةُ المُعَادِي

وتَعَجَبُ[2] النَّاسُ مِنْ شُخَيْصٍ — يَكُونُ بَعْدَ الضَّلَالِ هَادِ

مَنْ كَانَ مَيْتًا فَصَارَ حَيًّا — فَقَدْ تَعَالَى عَنِ النَّفَادِ

مَا خَلَعَ النَّعْلَ غَيْرُ مُوسَى — بِشَرْطِهَا عِنْدَ بَطْنِ وَادِ

مَنْ خُلِعَتْ نَعْلُهُ تَنَاهَتْ — رُتْبَةُ أَقْوَالِهِ السَّدَادِ

فَإِنْ تَكُنْ هَاشِمِيَّ وِرْثٍ — فَاسْلُكْ بِهَا مَنْهَجَ السَّدَادِ

والْبَسْ نِعَالَيْكَ؛ إِنَّ مَنْ لَمْ — يَلْبَسْ نِعَالَيْهِ فِي وِهَادِ[3]

فَهَلْ يُسَاوِي المُحِيطُ حَالًا — مَنْ لَمْ يَرَ الحَقَّ فِي الرَّمَادِ

فَمَيِّزِ الحقَّ[4] إِذْ تَرَاهُ — فِي مَرْكَبِ القُدْسِ فِي الغَوَادِي

وَرَتِّبِ العِلْمَ إِذْ يُنَاجِي — سِرُّكَ بِالسِّرِّ فِي الهَوَادِي[5]

وَارْقُبْهُ فِي وَهْمِ كُلِّ سِرٍّ — فِي سَاتِرٍ إِنْ أَتَى وَبَادِ

وَلَا تُشَتِّتْ وَلَا تُفَرِّقْ — عِنْدَ نِدَا حَاضِرٍ وَبَادِ

فَإِنْ وُهِبْتَ الرُّجُوعَ فَرِّقْ — بَيْنَ الحَوَاضِرِ[6] وَالبَوَادِ

واحْذَرْ بِأَنْ تَرْكَبَ المَهَارِي[7] — إِذْ يُقْرَنِ العَيْرَ بِالجَوَادِ

---

١ ش: العدو.

٢ د: ويعجب.

٣ إشارة لعدم المشقة والرغد، فالسفر من السفور، والمقصود المجاهدات.

٤ س، ع، ز، ب: الحال.

٥ رسمها في ق، ع: الهواد. د (في الحاشية): الوهاد. وفي ب: الصواد.

٦ رسمها في ق، س، ع: الحواضير.

٧ المهاري: الإبل المهرية؛ نجائب تسبق الخيل، منسوبة لقبيلة مَهْرة بن حَيْدان.

لَا تَحْجُبَنْكَ الشُّخُوصُ وَاصْبِرْ عَلَى مُهِمَّاتِهِ الشِّدَادِ
وَانْظُرْ إِلَى وَاهِبِ المَعَانِي وقَارِنِ العَيْنَ بِالفُؤَادِ
وأَسْنِدِ الأَمْرَ فِي التَّلَقِّي لَهُ تَكُنْ صَاحِبَ اسْتِنَادِ
وَلَا يَغُرَّنْكَ قَوْلُ: "عَبْدِي" فَالحَقُّ، فِي الجَمْعِ، لَا يُنَادِي
وإِنَّ هَذَا المَقَامَ أَخْفَى مِنْ عَدَمِ المِثْلِ لِلْجَوَادِ
فَكُنْهُ عِلْمًا وَكُنْهُ حَالًا مَعْ رَائِحٍ إِنْ أَتَى وَغَادِ
وَكُنْهُ وَصْفًا وَلَا تَكُنْهُ ذَاتًا فَعَيْنُ المُحَالِ بَادِ
وَلَا تَكُنْ ذَا هَوًى وَحُبٍّ فِيهِ فَقَلْبُ المُحِبِّ صَادِ
مَنْ بَاتَ ذَا لَوْعَةٍ مُحِبًّا شَكَا لَهَا حُرْقَةَ الجُوَادِ[1]
وانْظُرْ بِعَيْنِ الفِرَاقِ أَيْضًا فِيهِ تَرَى حِكْمَةَ العِنَادِ
وحِكْمَةَ الحَزْمِ والتَّوَانِي وَحِكْمَةَ السِّلْمِ وَالجِلَادِ[2]
فَحِكْمَةُ الضِّدِّ لَا يَرَاهَا سِوَى حَكِيمٍ لَهَا وَشَادِ[3]
وانْظُرْ إِلَى ضَارِبٍ بِعُودٍ صَفَاةَ يُبْسٍ فَانْسَابَ وَادِ
وَاعْجَبْ لَهُ وَاتَّخِذْهُ حَالًا تَجِدْهُ كَالنَّارِ فِي الزِّنَادِ
فَالمَاءُ[4] للرُّوحِ قُوْتُ عِلْمٍ وَالجِسْمُ لِلنَّارِ كَالمزادِ[5]
فَإِنْ مَضَى المَاءُ لَمْ تَجِدْهُ بِدَارِ دُنْيَاكَ بِالمَعَادِ

---

[1] ع (في الحاشية): الجُواد: العطش

[2] السلم: حال التنعم، والجلاد: حال تحمل الشدائد.

[3] الواو حرف عطف وكلمة شاد فاعل من شدّ، أي شديد الحكمة.

[4] ب: والماء، ز: كالماء.

[5] المزادة: التي يحمل فيها الماء وهي ما فُئم بجلد ثالث بين الجلدين ليتسع سميت بذلك لمكان الزيادة

وإِنْ خَبَتْ نَارُهُ عِشَاءً   فَسَوٌّ[1] مَنْ مَاتَ فِي المِهَادِ

أَوْضَحْتُ سِرًّا إنْ كُنْتَ حُرًّا   كُنْتَ بِهِ وَارِيَ الزِّنَادِ[2]

مَنْ عَلِمَ الحَقَّ عِلْمَ ذَوْقٍ   لَمْ يَقْرُنِ الغَيَّ بِالرَّشَادِ

فَمَنْ أَتَاهُ الحَبِيبُ كَشْفًا   لَمْ يَدْرِ مَا لَذَّةُ الرُّقَادِ

مِثْلَ رَسُولِ الْإِلَهِ إِذْ لَمْ   يَسْكُنْ لَهُ النَّوْمُ فِي فُؤَادِ

لَوْ بَلَغَ الزَّرْعُ مُنْتَهَاهُ   اشْتَغَلَ[3] القَوْمُ بِالحَصَادِ

أَوْ نَازَلَ الحِصْنَ قَوْمُ[4] حَرْبٍ   لَبَادَرَ النَّاسُ لِلْجِهَادِ

نَاشَدْتُكَ اللهَ يَا خَلِيلِي   هَلْ فُرُشُ الخَزِّ كَالقَتَادِ؟!

لَا وَالَّذِي أَمْرُنَا إِلَيْهِ   مَا عِنْدَهُ الخَيْرُ كَالفَسَادِ[5]

قال مَن جلّ ثناؤه وتقدّستْ أسماؤه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ ﴿٨٨﴾﴾[6] فأسنَده[7] – سبحانه – إلى الاسم الجامع؛ الذي هو للتعلّق لا للتخلّق. وفي إسناده إليه سِرٌّ شريفٌ نشير إليه – إن شاء الله – في هلال هذا النجم السعيد.

التوفيقُ – أيّها الابن النجيب العتيق[8]، وفّقك الله – مفتاحُ السعادة الأبديّة، والهادي بالعبد إلى سلوك الآثار النبويّة، والقائِد له إلى التخلّق بالأخلاق[9] الإلهيّة. مَن قام به غَنِم، ومَن فقده حُرِمَ. وهو خارجٌ عن كَسب

١ د، ش: فسُؤُ.

٢ رَجُلٌ وارِي الزِّنادِ: أَي مُفْلِحٌ.

٣ ع (معدلة)، ز: لاشتغل.

٤ د: في المتن: أو نازل القوم حرب، وفي الحاشية صححت الحصن يوم حرب.

٥ ع (في الحاشية): "بلغ" إشارة إلى انتهاء مرحلة من القراءة والمقابلة.

٦ [هود: ٨٨]

٧ ش: فأسند.

٨ أي بدر الحبشي فقد كان عبد وتم عتقه من أبي الغنائم ابن أبي الفتوح.

٩ د: بالخلق.

العبد، وإنّما هو نورٌ يضعه اللهُ في قلب من اصطنعه لنفسه واختصّه لحضرته. به تحصل النجاة، وبه تُنال الدرجات.

ومع أنّه سِرٌّ موهوب، ونورٌ في قلب العبد موضوع، فإنّ إرادةَ العبد، من جهة العلم بخصائصه وحقائقه، متعلّقةٌ بجود الله – سبحانه – في تحصيله منه والاتّصاف به. فقد يحصُل للعبد بتلك الإرادة؛ فيتخيّل أنّه كَسبيٌّ، وأنّ دعاءه لله فيه[1]، وإرادته إيّاه، سببٌ في حصوله. وما علِم أنّ تلك الإرادة التي حرّكته لطلب التوفيق من التوفيق، وأنّها من آثاره، ولولاه لم يكن ذلك. فإنّ إرادة التوفيق من التوفيق،[2] لكنّه لا يشعرُ لذلك أكثرُ الناس.

فإذا تقرّر هذا؛ فيكون الإنسان إنّما يطلب على الحقيقة كمالَ التوفيق من الموفِّق الواهب الحكيم. ومعنى كمال التوفيق: استصحابُه للعبد في جميع أحواله: مِن اعتقاداته، وخواطره، وأسرارِه، ومطالِع أنواره، ومكاشفاته، ومشاهداته، ومسامراته، وأفعاله كلِّها، لا أنّه يتجزّأ ويتبعّض؛ فإنّه معنًى من المعاني القائمة بالنفس. فنَقْصُه الذي يطلق عليه إنّما هو أن يقوم بالعبد في فعلٍ مّا من الأفعال، ويُحْرَمه في فعلٍ آخر. وكذلك زيادته[3]؛ استصحابه لجميع أفعال العبد. وقد بان علّةُ سؤاله في التوفيق من الله، وتبيّن أنّ التوفيق لم يكن عنده معدومًا عند سؤاله لله – سبحانه – فيه. وهو تفعيلٌ من الموافقة. وهو معنًى يقوم بالنفس عند طُروِّ فعلٍ من أفعاله الصّادرة عنه، على اختلافها، يمنعه[4] من المخالفة للحدّ المشروع له في ذلك الفعل لا غير. فكلّ معنى كان حكمه هذا يسمّى التوفيق.

---

[1] ب، س: – فيه

[2] ش: – وأنّها من آثاره، ولولاه لم يكن ذلك. فإنّ إرادة التوفيق.

[3] س: زيادة، غير واضحة في ق.

فلو وافق – يا بنيّ – حال العاصي حقّه المشروع له لم يكن عاصيًا، وإذا انتفتْ الموافقةُ في حالٍ مّا مشروعٍ كانت المخالفةُ، لأنّ المحلّ لا يعرىٰ عن الشيء أو ضدّه.

وقد يقوم بالعبد التوفيقُ في فعلٍ مّا والمخالفةُ في فعل آخر في زمان واحد؛ كالمصلّي في الدار المغصوبة، أو كمن يتصدّق وهو يغتاب، أو يضرب أحدًا في حالٍ واحد وأشباهه. فلهذا ما سأل العبد من مولاه إلا كمال[1] التوفيق؛ يريد استصحابه له في جميع أحواله كلّهـا، حتى لا تكون منه مخالفة أصلًا.

فإذا كمل التوفيقُ للعبد علىٰ ما ذكرناه؛ فهو المعبَّر عنه بالعصمة، والحفظ الإلهي – حفِظ الله علينا الأوقات، وعصَمنا من نتائج الغفلات، إنّه جواد بالخيرات –.

فالتوفيق – يا بنيّ – هو العناية التي للعبد عند الله – تعالى – قبل كونه المتفضِّل به عليه عند إيجاده[2] إيّاه وتعلُّقِ خطابه به. قال – تعالى –: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۝٢﴾[3] فصحّتْ لهم هذه القـدم قبل كـونهم، حيث لا قَبْلُ في علـمِ الله – تعالى – خصوصيّة منه – جلّ عُلاه – لهم، وهي الرحمةُ التي كتبها علىٰ نفسه. فلمّا أوجدهم في أعيانهم بصفة الجود، وأبرزهم في الوجود؛ تولّاهم بلطفه؛ فحقّقهم بحقائق التوفيق،[4] وبَيَّن لهم الطريق الموصِّل إليه: بيّنه[5] لأنبيائه بوسـاطة[6] ملائكته، ولأوليائه بوسـاطة[7] أنبيائه،

---

[1] ع، ب: – إلا كمال.

[2] ش: المتفضل به قبل إيجاده.

[3] [يونس: ٢]

[4] ش: – في أعيانهم بصفة الجود، وأبرزهم في الوجود؛ تولّاهم بلطفه؛ فحققهم بحقائق التوفيق.

[5] د، ب، ز: + كما.

[6] ق، ش، ب: بواسطة.

[7] ق، ش، ب: بواسطة.

ولملائكته بالجِبلّة التي أوجدهم عليها؛ فاهتدوا على أوضح منهاج، وعرجُوا على أنجح معراج.

فما زال التوفيقُ يصحبهم في كلّ حالٍ، ويقودُهم إلى كلّ عملٍ مقرِّبٍ إلى الله - تعالى -؛ من أعمال القلوب والنفوس والمعاملات، المتوجّهة على الحواس، حتى انتهى بهم فوق الهمم، وأنزلهم في حضرة الجود والكرم، فغرقوا في بحار المنن والآلاء؛ من نعيمِ جنانٍ ومضاهاةِ استواء، على قدر ما أراده تعالى، أن يمنحهم من نعماه، وأن يهبهم من رحماه. فعاينوا - عند ذلك - تولّي الحقّ لهم في ذلك ولم يكونوا شيئًا مذكورا. ثمّ استصحاب التولّي لهم في محال الدعاوى، بتقديسهم عنها. فأرادوا الشكرَ، فمنعتهم الحقيقةُ؛ فكان الشاكر هو المشكور، والذاكر هو المذكور.

فعجز العبيد عن الثناء والحمد، مع غاية الجدّ في ذلك والجهد، ووقفوا في موقف الحَيرة لّما رأوا الحال فوق الثناء، ثمّ رأوا أنّ الذي حصل لهم من الثناء عليه سبحانه، إنّما هو من عنده؛ أثنى على نفسه بفعله. قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٥﴾.[1]

فالقليل مُعارٌ عندنا وُهِبناه عنايةً منه. والكثير لم نصل إليه. فليس لنا شيء ندّعيه. فالمحقّق شبحٌ منحوتٌ إلّا أنّه مبخوتٌ. وصاحِبُ الدعوى كذلك إلّا أنّه ممقوت. قال الصادق في هذا المقام - صلى الله عليه وسلم-: «لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك»، وقال الصِّدّيق - رضي الله عنه -: "العجز عن درك الإدراك إدراك". ولنا في هذا المقام أبيات، منها:

---

[1] [الإسراء: ٨٥]

قُلْ لِامْرِئٍ رَامَ إِدْرَاكًا لِخَالِقِهِ   العَجْزُ عَنْ دَرْكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكُ
مَنْ دَانَ بِالحَيْرَةِ الغَرَّاءِ فَهْوَ فَتًى   لِغَايَةِ العِلْمِ بِالرَّحْمَنِ دَرَّاكُ
وَأَيُّ شَخْصٍ أَبَى إِلَّا تَحَقُّقَهُ   فَإِنَّ غَايَتَهُ جَحْدٌ وَإِشْرَاكُ
فَالعَجْزُ عَنْ دَرْكِ التَّحْقِيقِ شَمْسُ حِجًى   جَرَتْ بِهَا فَوْقَ جَوِّ النّسْكِ[1] أَفْلَاكُ

---

[1] ع: عدّلت إلى "السُّمك"، وغير واضحة في ق. معناه: العبادات.

مبادئ التوفيق ومواسطه وغاياته

واعلم – يا بنيّ – أنّ التوفيقَ قائدٌ إلى كلّ فضيلة، وهادٍ إلى كلّ صفةٍ منجيةٍ، وجالبٌ كلَّ خُلُق رضيٍّ. يجلو البصائر، ويصلح السرائر، ويخلّص الضَمائر، ويفتح أقفال القلوب، ويزيل رُيُونَها، ويخرجهـا عن أكِنَّتِها[١]، ويهبها أسرارَ وجودها ويعرِّفها بما تحمله من جلال معبودها. هو الباعث المحرِّك لطلب الاستَقامة، والهادي إلى طريق السلامة، ما اتّصفَ به عبدٌ إلّا اهتدىٰ وهدىٰ، ولا فقدهُ شخص إلّا تردّىٰ وأردىٰ، نعوذ بالله من الخلاف.

وله مبدأٌ وموسِط[٢] وغاية. فمبدؤه يُعطيك الإسلام، وموسِطه[٣] يعطيك الإيمان، وغايته تعطيك الإحسان. فالإسلام يحفظ الدِّماءَ والأموال. والإيمان يحفظ النفوس من ظُلَمِ الضلال والإضلال. والإحسان يحفظ الأرواح من رؤية الأغيار، ويهبها المراقبةَ والحياءَ على الكمال. فالنفس تتعّم بشهوتها في الجِنان، والعين تتعّم بلذّة مشاهدة[٤] الرحمن، والروح تتعم بحقائق الامتنان.

فانظر – يا بنيّ – ما أوصلَك إليه التوفيق. فمَن دعا لك بالتوفيق في جميع الأحوال؛ فما ترك لك شيئًا من الخير إلّا أعطاك إيّاه فلا ترده.[٥]

- مبدؤه يعطيك العلم والعمل، ووسطه يطهِّر ذاتَك من دنس الأغراض والعِلل، وغايته تمنحك أسرارَ الوجود والأزل. وليس وراء الله مأمول يُؤَمَّل.

---

١ فالذنب نكتة سوداء اذا لم يستغفر يغلق القلب ويصبح ران. والقفل أيسر من الران والكن أيسر من القفل.

٢ ش: موسطه. د، س، ب: ووسط

٣ س، ب: وسطه

٤ ش: تتعم بمشاهدة.

٥ س: تزده، وغير واضحة في ق.

- مبدؤه يفنيك عن حِسِّك، ووسطه يفنيك عن نفسك، وغايته تجود عليك بشمسك.
- مبدؤه يعطيك الكرامات، ووسطه يفنيك عن الصفات، وغايته تُنعّمك بالذات.
- مبدؤه يشهد لك[1] بالجِنان، ووسطه يشهد لك[2] بالعِيان، وغايته تشهد لك بفناء الأعيان.

فسبحان المتفضّل به والمانّ[3]؛ إنّه بعبيده رحمان.

تقسيم: (أصل التوفيق)

التوفيقُ – وفّقك الله – على قسمين في أصله: عامّ، وخاصّ.

فالعامُّ هو الذي يشترك فيه جميع الناس كافّة، من المسلمين وغيرهم. وهو على ضربين:

١. منه ما يوافق الحكمة بما هي حكمة.
٢. ومنه ما يوافق الأغراض.

فالتوفيق الذي يوافق الأغراض، كرجل – أيّ رجل كان، على أيّ دين كان – حفر بئرًا على قارعة الطريق بأرضٍ لا ماءَ فيها. فهذا قد وافق غرضَ كلِّ مارٍّ بذلك الموضع.

والتوفيق الذي يوافق الحكمة، كمن يقرن بين الأشياء، لما يرى بينهما من المناسبة، وأصلها إعطاءُ كلّ ذي حقٍّ حقَّه، كرجلٍ – مثلًا – رأى شخصًا يتناول شرب الماء بالمنخل، ويحاول تصفية الدقيق بالقدح، فيأخذ الدقيق ويلقيه في المنخل[4]، ويأخذ الماء ويجعله في القدح، ويقول: إنّما وُضِع هذا لهذا

---

١ ش: يشهدك.
٢ ش: يشهدك.
[3] س، ب: والمنان
[4] د، س، ع: بالمنخل.

وهذا لهذا. وهكذا في جميع الأشيـاء العِلميّة والعَمليّة؛ فهذه موافقة الحكمة.

والخاصّ هو ما[1] يخرجك من الظلمات إلى النور، وينتهي بك إلى السعادة الأبديّة على مراتبها، وإن دخل النار. وهذا أيضا عامٌّ وخاصٌّ.

- فالعامّ كالإيمان بالله وبرسوله وما جاء به.
- والخاصّ كالعمل بالعِلم المشروع، وهو - أيضًا - عام وخاص.
- فالعام؛ كأداء الفرائض، كما قال ضِمَام بن ثعلبة السعدي لرسول الله ﷺ حين سأله عن الواجبات، فأجابه رسول الله، «فقال له: هل عليّ غيرها؟ قال[2]: لا، إلّا أن تطوّع. فقال: واللهِ لا أزيد على هذا ولا أُنقِص منه[3]». ولم تكن غير الفرائض الخمسة. فقال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق».
- والخاصّ؛ هو الذي يؤدّيك إلى تصفية القلب، وتفريغه، والرياضات، والمُجاهدات. وهذا الضرب، أيضًا، من التوفيق عامٌّ وخاصٌّ.
  - فالعامُّ؛ هو الذي يثمر لك[4] جميع الأخلاق العُلويّة، والأوصاف الربّانيّة القُدسيّة.
  - والخاصُّ؛ هو الذي يثمر لك أسرار الخُلُق، ومعاني التحقّق. وكلاهما على ضربين: عامٌّ وخاصٌّ.
    - فالعامُّ؛ ما أعطاك جميع ما يُتخلّق به وأسراره.
    - والخاصُّ؛ ما أعطاك الفناء عن ملاحظة الفناء.

فكلّ توفيق يستصحب العبد في حركاته وسكناته الظاهرة والباطنة؛ فهو توفيق الوارثين العالِمين. وكلّ توفيق يصحب العبد في بعضها؛ فهو منسوبٌ

---

[1] ق: الذي.

[2] ع، ز: فقال.

[3] س، ع، ز، ب: - منه.

[4] ق: - لك.

لذلك البعض، ومضافٌ لما يعطيه المقام في مراتب الوجود، الصوفيِّ[1] خاصّة. فيقال: هذا توفيق العارفين أو الزاهدين والعابدين وغيرهم من أصحاب المقامات وأرباب السلوك.

تقسيم: (نوعا التوفيق)

حصولُ التوفيق، عند الموفَّقين، على نوعين: توفيقٌ أوجده الحقُّ - سبحانه - فيك منك. وتوفيقٌ أوجده فيك على يدي[2] غيرك.

فالتوفيق الذي فيك من غيرك؛ كالإسلام الذي أبقاه عليك أبواك، وربّياك عليه. فـ«كلّ مولود يولَد على الفطرة، وأبواه هما اللذان يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه» كما جاء[3] الحديث. أو كشخصٍ قيضَّ اللهُ لك على مَدرجتك من غير قصدٍ منك إليه؛ فوعظك بموعظةٍ زجرك بها؛ فانتبهتَ مِن[4] سِنة الغفلة؛ فقذف الله - سبحانه - لك عند انتباهك نورَ التوفيق فقبِلتها، ونظرتَ في تخليص نفسك؛ فقادك إلى الانتظام في شمل السعداء.

والتوفيقُ الذي فيك منك؛ هو أن تُرزق النظرَ ابتداءً في عيوبك، وذمّ ما أنت عليه من الأفعال القبيحة، وتمقيتك نفسَك، وتنغيص[5] حالك لك. فإذا تقوّى عليك هذا الخاطرُ، وتأيّد؛ نهضَ بك في طريق النجاة، وسارع بك إلى الخيرات على قدر ما قُدِّرَ لك أزلًا، وقسِم لك في شربك.[6]

وأوّلُ مقامات التوفيق الاختصاصيّ؛ اشتغالُك بالعلم المشروع الذي نَدَبَك الشارع إلى الاشتغال بتحصيله. وآخرها حيث يوقَفُ بك. فإن تُمّمتَ لك

---

[1] د: للصوفي.

[2] ع، ب: يد.

[3] ش: + في.

[4] ز (في الحاشية)، ق: عن

[5] ق، ش، س، ع، ز، ب: تبغيض.

[6] أي قدر مرتبتك.

المقاماتُ؛ حصلتَ في التوحيد الموحِّد نفسَه بنفسِه الذي لا يصحّ معه معقولــ. وإن بُعِّضَتْ[1] لك فبعض الحضراتـ الوجوديّة واللطائفـ الجوديّة. فلا حياة مع الجهل، ولا مقام.[2]

باب نتائج التوفيق في المعاملات الموقوفة على الظواهر

والناس فيها على قسمين:

١. منهم من تَحصَّلَ له على الكمال، وهو القطب المشار إليه، صاحبُ الوقت.
٢. ومنهم مَن يُنْتَهَى به إلى حيث قدّره[3] العليم الحكيم.

فالتوفيق - يا بنيّ - إذا صحّ، وتصحيحه بتحصيل العلم. فإذا تحصّل له، وصحّ توفيقه، أنتَج الإنابةَ. والإنابةُ منتجةٌ للتوبة، والتوبةُ تنتج الحزن، والحزن ينتج الخوف، والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق، والاستيحاش ينتج الخلوة، والخلوة تنتج الفكرة، والفكرة تنتج الحضور، والحضور ينتج المراقبة، والمراقبة تنتج الحياء، والحياء ينتج الأدب، والأدب ينتج مراعاة الحدود، ومراعاة الحدود تنتج القرب، والقرب ينتِج الوصال، والوصالـ ينتِج الأُنس، والأنس ينتِج الإدلالَ، والإدلالُ ينتِج السؤال، والسؤالُ ينتِج الإجابة.

وتسّمى جميع هذه[4] المقامات: "المعرفة" في اصطلاح بعض أصحابنا،

---

[1] ش: نُقِصَتْ.

[2] ق (في الحاشية): بلغ، ز: بلغ سيدي الشيخ زين الدين الهروي، بلغه الله إلى كل خير.

[3] ب: ما قدره، ع: قدرة.

[4] من هنا يبدأ النقص الرئيسي في النسخة س مقداره ١٦ صفحة فردية في المخطوط، ينتهي في "باب ما يحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأبدية في دار السلام" في الفقرة ١١ منه.

و"العـلم" في اصطلاح بعضهم. والسؤال على تفرُّق أنواعه وتشتُّتِها، راجعٌ إلى المقام، الذي أنت به متحقِّق، والحال؛ فتَسأل على حسب ما يلقي اللهُ في نفسك؛ وهذا هو مقامُ المشاهَـدة. فمِن شاهِدٍ رسمًا، ومِن شاهِدٍ وَسْماً، ومِن شاهِدٍ حيرة وعجزًا؛ ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴿٦٠﴾﴾[1].

ولا يصحّ شيءٌ من هذه المقامات إلّا بعد تحصيل العـلم الرسميّ والذوقيّ.

فالرسميُّ؛ كعلوم النظر؛ وهو ما يتعلّق بإصلاح العقائد. وكعلوم الخبر؛ وهو ما يتعلّق بك من الأحكام الشرعيّة، ولا يؤخذ منها إلّا قدر[2] الحاجة، على حسب ما نذكره في مرتبة العلم – إن شاء الله –.

والذوقيُّ؛ عِلم نتائج المعاملات والأسرار؛ وهو نورٌ يقذفه الله في قلبك، تقف به على حقائق المعاني الوجوديّة، وأسرار الحقِّ في عباده، والحِكمِ المودَعة في الأشياء؛ وهذا هو علم الحال. فإنّه مهما تخلَّق العبدُ باسمٍ مّا من الأسماء، فشاهِدُ حالِه[3] يشهد له بتصحيح[4] تخلُّقه أو بفساده.

شواهِد الأحوال

اعلم – يا بنيّ – أنّه مَن قام به توفيقٌ في أمرٍ مّا من الأمور المطلوبة للسعادة وغيرها فشاهد حاله يصدِّق دعواه أو يُكذِّبها.[5]

وشواهد[6] الأحوال على ضربين:

١. ضربٌ يقوم بذات صاحب الدعوى.
٢. وضربٌ يقوم بذات غيرِه مقارِنًا لدعواه. وليس ثَمّ قِسم ثالث.

---

[1] [البقرة: ٦٠]
[2] ش، ع، ب: – قدر.
[3] د: فشَاهَد حَالةً.
[4] د: بصحيح.
[5] د: فشَاهَد حَالةً تصدّق أو تكذبها.
[6] ق: وشاهد.

فالمنوط بذاته؛ كصفرة الوَجَل، وحمرة الخجل، وترك الاعتراض على الله في أحكامه، والصبر إذا نالته المصائب في حقّ مَن ادّعى أنّه في مقام الرضا بالقضاء، والتسليم لمجاري القدر على الإطلاق.

والضرب النّأي[1] عن ذاته القائم بذات غيره؛ كتحدّيه بانفعال كونٍ مّا معيّن عنه بهمّته، وهو ساكتٌ، ويكون ذلك على نوعين:

- إمّا ما يجوز أن يُتَوَصّل إليه بحيلة مّا حتى يقع ذلك، ولم تُعلم هذه الحيلة من هذا المدّعي؛ لقرينة حالٍ صحّت عند المشاهِد له، المنتقِد.
- وإمّا ما يكون خارجًا عن مقدور البشر.

فهذه شواهد الأحوال محصورةٌ. وغرضنا، في هذا الرِّسالةِ، لُمَعٌ لا إسهابٌ وتطويلٌ. وباليسير المكمَّل الجهات يحصل الغرض[2] - إن شاء الله تعالى - إذ التكثير يؤدّي إلى الملل والسآمة[3]. والله المرشد لا ربّ غيره[4].

---

١ د (رسمها): الثاي (وفي الحاشية): الخارج. ش: النأني (بدون نقطة نون). ب، ع: الثاني.

٢ ش: - غرض.

٣ ق، ش: - والسآمة

٤ ق (في الحاشية): (بلغ سماعا ومقابلة على الشيخ المنشئ رضي الله عنه) بقراءة ابن إسحق.

الفلك الثاني الإيماني

المطلع الأوّل الوفاقي

مطلع هلال محاقٍ طلع بنفس الإمام المدبِّر في عالم الجبروت والملكوت؛ فغطى

ألم يعلم الإمام العـلّام، وأولو الألباب والإلهام، أنّ نور صباح الموافقة تنفّس، فأظهر ما كَمُنَ فيما عَسْعس، فبموافقة مضاهاة الذاتين على التكميل في عالم المثل الوجودي، ظهر التوفيق في عالم المثال الجودي.

والحضرات حضرتان؛ لهما عَلامتان: جمعٌ وفرقٌ، وحقيقةٌ وحقٌّ، بوجود خالقٍ وخَلق.

- فإن تعلّق تجلّي المثل ببعض التضاهي؛ كانت الموافقةُ في حضرة الفَرْق حقّية[1]، وكان التوفيق في العالم الأسفلِ خَلقيًا.
- وإن تعلّق التجلّي بالكلّيّة؛ كانت الموافقة في حضرة الجمع حقيقيّة، وكان التوفيق في العالم الأسفل خالقيًّا.

فتوفيق الكون فرعٌ عن موافقة العين، وتوفيق الأشباح نتيجة عن موافقة الأرواح. «الأرواح جنود مجنّدة» والأجسام خُشبٌ مسنّدةٌ «فما تعارف منها» هناك «ائتلف» هنا؛ فتهنّا، «وما تناكر منها» هناك «اختلف» هنا؛ فتعنّى.

فالتوفيقُ للأبرار، والموافقةُ لأرباب[2] الأسرار. التوفيقُ في المعاملات، والموافقةُ في المناجاة. بين التوفيق والموافقة انتساب: فإذا اجتمعا كان الأمر العُجاب، وإذا افترقا وقع الحِجاب. اجتماعهما على الإنصافِ موقوفٌ، وافتراقهما

---

١ ش: حقيقة.

٢ د: لأهل.

بحبّ الرئاسة معروفٌ.

التوفيق مع المكاسب، والموافقة مع المواهب.

إِنْ وَافَقَ النَّجْمُ السَّعِيدُ هِلَالَهُ	كانَ الوُجُودُ عَلَى مَسَاقٍ وَاحِدِ
فَإِنِ انْتَفَى عَيْنُ التَّوَاصُلِ مِنْهُمَا	نَقَصَ الوُجُودُ عَنِ الوُجُودِ
فانْظُر بِقَلْبِكَ أَيْنَ حَظُّكَ مِنْهُمَا	فِي الجَمْعِ أَوْ فِي العَالَمِ

(١) ع (في الحاشية): بلغ

الفلك الثالث الإحساني
المطلع الأَوّل الإلهي
مطلع هلال ارتقابٍ طلع بالروح القطبي في برزخ الرحموت والرهبوت؛ فمنع وأعطى

ألم يعلم الحكيم؛ أنّ الوجودَ قبس، صباح تنفَّس، ليل عسعس.[١] عقلٌ وإحساس[٢]، مشكاة ونبراس[٣]؛ أُسرج بألطف كاس، في مجلس ديماس[٤]. أَشرقتِ الحواس، برز جاذِر[٥] الكِناسُ[٦] في حدائق الأنفاس. بأيمانهم أكواس إيناس، بشمائلهم أقباس إبلاس[٧]، لكلّ مارد جسّاس، ومتطلّع حسّاس[٨]. شَرِب الخضِرُ وإلياس، والندماءُ الأكياس. بادر منهم يعفورٌ[٩] كالغصن الميّاس[١٠]، بيده

١ د: (في الحاشية) أي تنفس ذلك الصباح. ليل عسعس أي أظلم.

٢ ش: – عقلٌ وإحساس.

٣ د: (في الحاشية) النبراس المصباح.

٤ د: (في الحاشية) "الديماس سجن وسمّي ذلك لظلمته، من دمس الظلام إذا اشتد." والمقصود به العدم قبل الوجود.

٥ ق (رسمها): جاآذر. ش: جأذر. ع: جآذر. وهي من جذَر الشَّجرةَ وغيرَها : قطعها واستأصلها، قلعها من جذورها.

٦ الكِناسُ: وهو المقصود به المكان الذي يُستتر فيه؛ وهو الغيب.

٧ د: (في الحاشية) الابلاس اليأس والانكسار والحزن أيضا وكل منهما صحيح هنا.

٨ ش: – لكل مارد حسّاس ومتطلع جسّاس.

(٩) د: (في الحاشية معنى اليعفور): ولد البقرة الوحشية.

١٠ د (في الحاشية): أي المتبختر.

قضيبُ آس، ضرب به على الرأس: هل من آس، أو مُشفقٍ مُواس. أُخليت[1] الأكياس، أُفرغ عليه أحسن لباس، افتتن الناس، غار الحرّاس، أنِفَ الجلّاس؛ ما عليكم من باس، فما أنا بالمغفّل الناس[2]. يا ضارب الأسداس في الأخماس: خَفِ الخَنّاس، فإلهامه وسواس. ثمّ أخذ يقرأ القرطاس ليقيم القِسطاس؛ فقال:

انظروا إلى عرش ربّكم؛ فُلكًا مشحونًا بناسِه، محفوظًا بحُرّاسه. قَرَنَ مَلَكَهُ بخنّاسِه، وإلهامَه بوسواسه، وجحيمَه بحظيرة قُدْسِه، وعذابَ وحشتِه بنعيم أُنسه. تنفّس العارف فأجراه[3] في بحر الإرادة همسا، ولطمَتْه أمواج أحوال عُشّاقِه فكادت تبسّه بسّا. سَطَتْ[4] كتائب مناياه الخُرُس، على العُرب الفصحاء والفُرس. فأقسم بالخُنّس، الجَوارِ الكنّس؛ أنّه لَمعقِلٌ آهِلٌ دارِسٌ[5]، وظاهرٌ طامِس،[6] مَهّدَتْهُ أربابُ النواميس، ونشرتْ فيه أذنابُ الطواويس، وحُدِيَتْ به العِيس، وأوسقه الرحمنُ بالجوهر النفيس، من كلّ صنعة تعريةٍ وصنعة لبوس. فمؤخّرهُ معقول، ومقدّمُه محسوس؛ فهو يسبح في بحر القدس، إلى انقضاء السبعة والسدس. وهنالك تُبعث النفوس، ويؤتَى بالمعقول والمحسوس، وتبقى الحالة على أوّلها؛ بين رهينٍ حبيس، وأمينٍ عريس[7]. فسبحان من طوّر خلقه

---

١ د: اجليت.

٢ الناس: الناسي

٣ إشارة الى ذكر العارف، وأن حروف الذكر وهي النفس هي التي تجريه.

٤ د: بسطت.

٥ ز: صححت في الحاشية: دامس. دارس: أي محى الأثر.

٦ د: لمعقل أهلٍ دارس وظاهرٍ طامس.

٧ ق، ش، س، ع، ز: عروس.

بين أخرقَ عابثٍ[1]، ومدبِّرٍ سؤوس.

انظُرْ إِلَى الْعَرْشِ عَلَى مَائِهِ سَفِينَةً تَجْرِي بِأَسْمَائِهِ

وَاعْجَبْ لَهُ مِنْ مَرْكَبٍ دَائِرٍ قَدْ أُودِعَ الخَلْقُ بِأَحْشَائِهِ

يَسْبَحُ فِي بَحْرٍ بِلَا سَاحِلٍ فِي حُنْدِسِ الغَيْبِ وَظَلْمَائِهِ

وَمَوْجُهُ أَحْوَالُ عُشَّاقِهِ وَرِيحُهُ أَنفَاسُ أَبْنَائِهِ

فَلَوْ تَرَاهُ بِالوَرَىٰ سَائِرًا مِنْ أَلِفِ الخَطِّ إِلَى يَائِهِ

وَيَرْجِعُ العَوْد عَلَى بَدْئِهِ[2] وَلَا نِهَايَاتُ لِإِبْدَائِهِ

يُكَوِّرُ الصُّبْحَ عَلَى لَيْلِهِ وَصُبْحُهُ يَفْنَى بِإِمْسَائِهِ

فَانْظُرْ إِلَى الحِكْمَةِ سَيَّارَةً فِي وَسَطِ الفَلْكِ وَأَرْجَائِهِ

وَمَنْ أَتَى يَرْغَبُ فِي شَأْنِهِ يَقْعُدُ فِي الدُّنْيَا بِسِيْسَائِهِ[3]

حَتَّى يَرَىٰ فِي نَفْسِهِ فُلْكَهُ[4] وَصِنْعَةَ اللهِ فِي إِنْشَائِهِ[5]

---

[1] ق، د، ع (رسمها): عايث. عابث وهي إشارة على بدء دخول الحيوان المنوي إلى الرحم.

[2] رسمها في ق: بده.

[3] في اللغة: حَمَلْناهم على مَرْكَبٍ صَعْبٍ كسيساء الحمار أي حَمَلناهم على ما لا يثبت على مثله.

[4] فُلْكه يعني عرشه.

[5] ع: بإنشائه.

مَعقِلُ أُنْسِه

ألم يعلمِ الحكيم؛ أنّ حقيقةَ هذا المعقِلَ الكريم؛ الصِّدق. دمعٌ جار، ولهيبُ أوار، مِن عاشقٍ ذي أعذار، كذوبٍ غدّار، يشكو انتزاحَ الدار وبُعد المزار. والمحبّ إذا ما اشتاق زَوَّار. متى اقتفى الآثار؟ متى عطّل العشار؟ متى امتطى القطار، وثبجَ البحار؟ متى جاب الأمصار؟ متى آل أن لا يَقِرَّ به قرار حتى يصل الديار بالديار؟

هيهات! لعبتْ به الأعصار؛ فاشتغل بملاعبةِ الأبكار، واستنشاق نفحات الأزهار، ولذّة الاستثمار، وتغاريدُ الأطيار، وترجيع[1] القيان بالأوتار، عن مُراعاة كواكب الأسحار. عَميتِ الأبصار؛ ضلّ وحار. شكا الضرار، أُهِلَّ هلال الإفطار، كأنّه شَطْر إسوار. مشْرِقٌ استنار، صنعة حكيمٍ وصبغة[2] جبّار. فلَكٌ دوّار، هلالا إبدارٍ وسَرار، التقيا بمعاقد الأزرار. ماءٌ ونار، ما التقيا إلّا لأمر كُبّار؛ تشاجرتِ الأغيار، أُضرمت للحرب نار. بَدار بَدار لطلب الأوتار[3]. أُشرعت شِفَار، سيوف عوار[4]، من كلّ ماض غرار[5]. طورًا باليمين وطورًا باليسار. شُدّ الإسار. حَلّ البوار بساحة الكفّار. بئس عقبى الدار؛ وقع الصلح على الدينار عن ذلّةٍ وصَغار. أشرق الإيمان وأنار، انحلّتْ عُقَد الإصرار، اصطحب الأَسَدُ والحُوار[6]، صار الزئير[7] لا يستوحش منه الخُوار[8]. حُفِظ

---

١ ش: تراجيع.

٢ ش، ب: (رسمها) صنعة.

[3] الوتر: الثأر.

[4] ب، ز: غرّار.

[5] ق، ش، ب، ز، ع: من كل ماضي الغرار.

[6] الحوار: ولد الناقة.

٧ د: (في الحاشية) صوت الأسد.

٨ د: (في الحاشية) صوت البقر.

حقُّ الجوار. تخلّق المحسن بالإيثار. صارت سيّئاتُ المقرَّبين حسناتِ الأبرار. نِعم القرار بخير دار، في أتقياء أخيار. قعد في نادي التذكار. سُرِدَتْ نوادر وأخبار.

قام خطيبٌ من آل سيّار[١]، لا يُشقّ له غبار،[٢] دعا بأسرار إماءٍ وأحرار: أين النظّار وأهل الاعتبار؟:

- متى كان الإبدار؛ لاحتِ الأنوار، والأنوار أذهبتْ ظُلم الأغيار، والأغيار محلّ العثار[٣].
- ومتى كان السِّرار؛ بَدتِ الأسرار، والأسرار تمحو الآثار، والآثار محكٌّ ومعيار، على النفوس والأبشار. فهي رفيعة المنار، مشرقةٌ بالعشيّ والإبكار.

عبدٌ مختار، استعمَل الأذكار، فساقت الأفكار، بين مقيمٍ وسارٍ[٤]، فأطال الانتظار، فوُهِبَ[٥] الأخبار، فنزل بِسِرَاجَيْنِ ضحوةَ نهار، فوقع الإنكار. رُفِعت الأستار[٦]، طلع بدرُ التسليم فأنار، وأذعن الكلُّ لهلالَي الاستبشار، رسولَيَ الملِك القهار.

يَا هِلَالَ الدَّيَاجِ لُحْ بِالنَّهَارِ	فَلَقَدْ أَتَت[٧] نُزْهَةُ الأَبْصَارِ
أَنتَ مَحْوٌ؛ فأَنتَ[٨] للعَيْنِ	بِتَجَلِّيكَ فِي الضِّيَاءِ المُعَارِ
فَإِذَا مَا بَدَا هِلَالُ المَعَانِي	طَالِعًا مِنْ حَدِيقَةِ الأَسْرَارِ

---

[١] د: يسار. أي من الكواكب السيارة.

[٢] د: (في الحاشية) إشارة إلى الخواطر السائرة على القلب التي لا تثبت.

[٣] العثار بمعنى الشر، والمقصود بها العدم.

[٤] ع (معدلة)، ز: وسيار.

[٥] د: فوَهَبَ.

[٦] ز: الأسرار؛ ب: أستار.

[٧] ش: أنت.

[٨] د، س، ع، ب، ز: وأنت.

قُلْ لَهُ بِالتَّوَاضُعِ الْمُتَعَالِي لَا بِنَفْسِ الدُّعَاوِي[1]

يَا هِلَالًا بَيْنَ الجَوَانِحِ سَارِ لَا تُفَارِقْ حَنَادِسَ الأَغْيَارِ

كُنْ عُبَيْدًا بِقَصْرِهَا وَمَلِيْكًا بَعْدَ مَحْوٍ يَنَالُكُمْ فِي السَّرَارِ

حِكْمَةٌ قَدْ تَحَيَّرَ الخَلْقُ فِيهَا وَسِرَاجَانِ أُسْرِجَا بِنَهَارِ

عَجَبًا فِي سَنَاهُمَا كَيْفَ لَاحَا وَسَنَا الشَّمْسِ مُذْهِبُ

كُلُّ نُوْرٍ فِي كُلِّ قَلْبٍ مُعَارٌ مَا عَدَا قَلْبِ وَارِثٍ مُخْتَارِ

فَاشْكُرِ اللهَ يَا أُخَيَّ عَلَى مَا وَهَبْتَهُ نَتَائِجُ الأَذْكَارِ[2]

---

١ ش: الدعاء.

٢ ز، ع، ب: الأفكار، وكذا في ق مع حرف خ (أي نسخة أخرىٰ).

ق: بلغ سماعا وقراءة لابن إسحق علىٰ شيخه المنشئ رضي الله عنه.

ز (في الحاشية): بلغ بها الشيخ زين الدين -زينه الله بالهدىٰ والتوفيق- سماعا في الثالث. ز، ع، ب: الأفكار، وكذا في ق مع علامة حرف خ (أي نسخة أخرىٰ) د: الأفكار وفي الحاشية: الأذكار مع علامة حرف خ. ش: رسم الكلمة بأن تفهم منها الأفكار والأذكار معا.

المرتبة الثانية في علم الهداية

الفلك الرابع الإسلامي

الموقع الثاني العلمي

نجم هداية وقع بالقلب الإماميّ المدبِّر في عالم الشهادة؛ فأهدى

قال مَن غمرنا[1] بنعماه، وحبانا برُحماه: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴿١٨﴾﴾.[2] أخبر – تعالى – عبادَه بشرف العلم حيث وصف به نفسَه. فينبغي لك – أيّها الابن الموفّق السعيد – أن تعتقد فيه الشرفَ التام. وليس في الصفات أعمُّ تعلُّقٍ منه لتعلّقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات. وغيره من الصفات ليس كذلك.

واعلم أنّ الشرف الذي للعلم شرفان: من حيث ذاته، ومن حيث معلومه.

- فالذي له من حيث ذاته؛ كونه يوصلك إلى حقيقة الشيء على ما هو عليه، ويزيل عنك أضدادَه إذا[3] قام بك؛ كالجهل بذلك المعلوم، والظنّ، والشك، والغفلة، وما ضادّه.
- والذي له من حيث معلومه؛ فمعلومه يكسبه ذلك الشرف. فكما أنّ بعضَ المعلومات أشرفُ من بعض، كذلك بعض العلوم أشرف من بعض.

فكثيرٌ بين مَن قام به العلم بأوصاف الحقّ – تعالى – وأفعاله، وبين من قام به العلم بأنّ زيدًا في الدار وخالدًا في السوق. فكما أنّه ليس بين المعلومين مناسبة في الشرف، كذلك العِلمان. فهذا هو الشرف الطارئ على العلم من

---

[1] ق: غمر.

[2] [آل عمران: ١٨]

[3] ب: إذ، ع: فإذا.

المعلوم.

ثمّ إنّ الله - تعالى[1] - مدح مَن قامت به صفة العلم، وأثنى عليه، ووصف بها[2] عبادَه، كما وصف نفسه في غير ما موضعٍ من الكتاب العزيز، كقوله - تعالى -: ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴿١٨﴾﴾.[3]

فأخبر - تعالى - أنّ العلماءَ، هُم الموحّدون على الحقيقة. والتوحيدُ أشرفُ مقامٍ يُنتَهى إليه، وليس وراءه مقامٌ إلّا التثنية. فمن زلّتْ قدَمُه عن صراط التوحيد رسمًا أو حالًا[4] وقع في الشرك. فمن زلّت قدمه في الرسميّ فهو مؤبّد الشقاء؛ لا يخرج من النار أبدًا، لا بشفاعةٍ ولا بغيرها. ومن زلّت قدمه في الحالي؛ فهو صاحب غفلة، يمحوها الذكر وما شاكله؛ فإنّ الأصلَ باقٍ يُرجى أن يُجبَرَ فرْعُه[5] بِيُمْنِ الله وعنايته، وليس الفرع كذلك.

وكقوله - أيضا، جلّ ثناؤه - في صاحب موسى - عليهما السلام -: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[6] وهو عِلم الإلهام؛ فالعالِم، أيضًا، صاحبُ إلهامٍ وأسرارٍ. وكقوله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴿٢٨﴾﴾[7]؛ فالعالِمُ، صاحبُ الخشية. وكقوله - تعالى -: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[8] فالعالِم صاحبُ الفهم عن الله، العالِمُ بحِكَم آيات الله وتفاصيلها. وكقوله - تعالى -: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿٧﴾﴾[9] فالعالِم هو الراسخُ الثابتُ الذي لا تزيله الشُّبَهُ، ولا تزلزله الشكوك؛ لتحقّقه بما شاهَدَه من الحقائق بالعلم.

---

١ ش، ز، ع: سبحانه.

٢ د: به.

٣ [آل عمران: ١٨]

٤ أي الشريعة والطريقة.

٥ د: فروعه. ش: وقوعه.

٦ [الكهف: ٦٥]

٧ [فاطر: ٢٨]

٨ [العنكبوت: ٤٣]

٩ [آل عمران: ٧]

وكقوله - تعالى -: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾[1] فالعلماء هم الذين عِلِموا الكائنات قبل وجودها، وأَخبروا بها قبل حصول أعيانها. وهي الصفة الشريفة التي أمر اللهُ نبيَّه محمدًا ﷺ بالزيادة منها، فقال- تعالى -: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾[2] ولم يقل له ذلك في غيره من الصفات.

وإنّما كثرنا بهذا في العلم؛ لأنّ في زماننا قومًا لا يحصَىٰ عددُهم، غَلَبَ عليهم الجهلُ بمقام العلم، ولعبتْ بهم الأهواءُ حتى قالوا: "إنّ العلم حِجَابٌ". ولقد صدقوا في ذلك لو اعتقدوه؛ أي - واللهِ - حجابٌ عظيمٌ، يَحجُب القلب عن الغفلة والجهل وأضداده. فما أشرفها من صفةٍ؛ حبانا الله بالحظّ الوافر منها. وكيف لا يُفْرَحُ بهذه الصفة ويُبْهَجَر من أجلها الكونان[3]؟ ولها شرفان كبيران عظيمان:

١. الشرف الواحد: إنّ الله - سبحانه - وصفَ بها نفسَه.
٢. والشرف الآخر: أنّه مَدح بها أهلَ خاصّته من أنبيائه وملائكَتِه، ثمّ مَنّ علينا - سبحانه ولم يزل مانًّا - بأن جعلنا ورثةَ أنبيائه فيها. فقال - عليه السلام -: «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ».

فلأيّ شيء - يا قوم - ننتقل من اسم سمّانا اللهُ - تعالى - به، ونبيُّه، إلى غيره، ونرجّحه عليه، ونقول فيه: "عارف" وغير ذلك؟! واللهِ، ما ذاك إلّا من المخالفة التي في طبع النفس حتى لا توافقَ اللهَ - تعالى - فيما سمّاها به، ورضيتْ أن تقول فيه: "عارف"، ولا تقول: "عالم". نعوذ بالله من حرمان المخالفة.

ولو لم يكن في المعرفة من النقص عن درجة العلم في اللسان العربيّ إلّا أنّها تعطيك العلم بشيء واحدٍ، فلا يحصل لك سوىٰ فائدة واحدة، لأنّها تتعدّىٰ إلى

---

[1] [الشعراء: ١٩٧]

[2] [طه: ١١٤]

[3] د: الكونين.

مفعولٍ واحد، والعلم يعطيك فائدتين لتعدّيه لمفعولين[١]. ثمّ انظره في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۝٦٠﴾[٢] لمّا ناب هنا العلمُ منابَ المعرفة، وجُعِل بدلًا منها، تعدَّى إلى مفعول واحد، فلحِقَه الحرمان بالنيابة.

وإن كان العلم والمعرفة في الحدّ والحقيقة على السواء؛ مِن كشفِ الشيء على ما هو عليه، فما لنا لا نبقى على ما سمّانا به الحقُّ - تعالى - ولا نخالف؟! بَلْ - واللهِ - أقول: إنّ هذا القائل بإطلاقِ المعرفة في الموضع الذي يجب فيه إطلاقُ العلم بلزوم الأدب الإلهيّ، إنّه لو تحقق في الوِرث النبويّ؛ ما سمّى ذلك المقام إلّا عِلمًا، ولا سمّى صاحبَه إلّا عالمًا. كما فعل سهل بن عبد الله حين قال: "لا يكون العبد بالله عارفًا إلّا كان به عالمًا، ولا يكون به عالمًا إلّا كان رحمة للخلق". ثمّ قال بعد هذا: "والسماءُ رحمةٌ للأرض، وبطنُ الأرض رحمةٌ لظهرها، والآخرةُ رحمةٌ للدنيا، والعلماءُ رحمةٌ للجهّال، والكبارُ رحمةٌ للصغار، والنبيُّ - عليه السلام - رحمةٌ للخلق، واللهُ - عز وجل - رحيمٌ بخلقه".

فتأمّل - وفّقك الله - أين جعل "سَهْلٌ" العالِمَ؟ وفي أيّ مقامٍ أنزله؟ وبمن شبّهه؟ والحمد[٣] لله الذي وفّقنا بالاطّلاع[٤] على ما طالعه[٥] هذا الإمام، وهو حُجّة الله على الصوفيّة المحقّقين. كذا ذكر أبو القاسم الجنيد في كلام له يقول فيه: "إنّ سليمان حُجّة الله على الملوك، وأيّوب حُجّة الله على أهل البلاء. وذكر الأنبياء - عليهم السلام -، وجعلهم حُجّة على أصنافٍ من المدّعين كما تقدّم، ثمّ قال بعد ذلك: ومحمد ﷺ حُجّةٌ على الفقراء". قال: وسهل بن عبد الله حُجّةٌ على المحقِّقين. فهذه شهادة الجنيد، الذي قال فيه الإمام أبو القاسم القشيري في

---

١ ش: إلى مفعولين.

٢ [الأنفال: ٦٠]

٣ ع، ز: فالحمد.

٤ ز، ب: للاطلاع.

٥ د: مطالعة.

رسالته في ذكر الشيوخ حين ذكره فقال: "والجنيد هو سيّد الطائفة". وأبو القاسم القشيري من أئمّة[1] القوم أيضًا. فالحمد لله على الموافقة.

وإنّما قال سهلٌ في كلامه الذي ذكرنا: "لا يكون العبد[2] بالله عارفًا..."، إذ كان الجاري على ألسنة القوم؛ فأعطاهم[3] ما تواطئوا عليه أن يَذكر ما ذكروه حتى يفهم عنه. وأعطاه الأدبُ الإلهيُّ والمقامُ أن لا يسمّيه إلّا عالمًا. وخرّج أبو طالبٍ في "القوت" عن سهلٍ – رضي الله عنهما – قال أبو طالبٍ: "قال عالِمُنا: للعالِم ثلاثة علوم – يريد سهلًا رحمه الله –:

١. علمٌ ظاهر يبذله لأهل الظاهر.
٢. وعلمٌ باطنٌ لا يسعُ إظهاره إلّا لأهله.
٣. وعلمٌ هو سِرٌّ بين العالِم وبين الله؛ هو حقيقةُ إيمانه؛ لا يُظهره[4] لأهل الظاهر ولا لأهل الباطن."

فانظر كيف أطلق سهلٌ عليه اسم: "العالِم"، وعلى ذلك "العلم"، ولم يقل: "العارف" ولا "المعرفة"[5]؛ للأدب الذي ذكرناه[6] آنفًا.

فلمّا نقص غيرُه عن ذلك المقام الشريف، ولم تتعلّق همّتُه إلّا بشيءٍ واحدٍ: إمّا بربّه أو بنفسه؛ أعطاه المقام بذاته أن يسمّيَ نفسَه عارفًا. فإنّ الكمالَ على الحقيقة إنّما هو فيمن شاهد ربَّه ونفسَه، وهو المعبَّر عنه بـ"بقاء الرسم" عند القوم. وبه يقول النهرجوري وغيرُه.

فمن[7] شاهد ربّه عريًّا عن مشاهدة نفسه حالًا، كما قال بعضهم، فهو عارٍ

---

١ ش: – أئمّة.
٢ د: – العبد.
٣ ش: الجاري على الألسنة فاعطاه.
ز: فأعطاه.
٤ ع، ز: لا يظهر.
٥ ش: – ولا المعرفة.
٦ ق، ش: ذكرنا.
٧ ع: ممن، ب: فيمن.

عن الفائدة صاحبُ نقصٍ؛ فإنّ الحقّ إذ ذاك يكون هو[1] الذي يشاهد نفسَه بنفسِه. وكذلك كان. فأيّةُ فائدةٍ أتى بها هذا الفاني عن نفسه على زعمه المشاهِدُ لربّه حالًا، المدّعي في مشاهدةٍ لا يصحُّ وجودُها، أصلًا، حالًا، كما يقول بعضهم للحال[2] الذي يدخله فيها؟! وإنّما هو تلبيسٌ في المقام، التبسَ عليه - في مشاهدة[3] رَبّه، ببقاء الرسم حالًا - فناؤه[4] عن رسمه علما، بتولّي الحقِّ له في تلك المشاهدة، فتخيّل الفناءَ حالًا في الرسم. بل تلك الحالة - إنِ ادّعاها - حالةُ النائم الذي قد استغرق النومُ حِسَّه ونفسَه، فلا هو مع الحسّ ولا مع الخيال.

كذلك مدّعي هذا المقام، لا هو مع نفسه ولا مع ربّه، وإنّما هو هذا النائم الذي نصبناه مثالًا للتقريب عليك. فإذا استيقظ هذا النائم قيل له: "لقد فاتَكَ علمٌ كثيرٌ طرأ بعدَك في عالم الحسّ، فما حصل لك في عالم الخيال؟"، فيقول: "ما رأيتُ شيئًا" فيقال لهذا الشخص: "لقد خسرتَ الوقت؛ فلا معنا ولا مع نفسك."[5]

وهذه حالة مُدّعي هذه المشاهدة التي لا تصحّ. وما نطقَ بها - واللهُ أعلم - إلّا صاحبُ قياسٍ فاسدٍ على طريق القوم - رضي الله عنهم -، أو مَن التبس عليه العلم بالحال. فإن أتى بفائدةٍ في مشاهدته، لم تكن عنده، وأنكر بقاء الرسم بالحال[6]؛ فهذا غيرُ عارف بفناء الرسم، صحيحُ المشاهدة، التبسَ عليه العلم بالحال، فهو[7] صاحبُ نقصٍ كما تبيّن.

---

[1] ق، د، ش، ع، ز: - هو.

[2] ب، ومصحفة في ع: للحال. وغير واضحة في ق وهي قريبة من: المحال. وهو جمع محل.

[3] ع، ب: مشاهدته.

[4] ش: حال فنائه.

[5] ز (في الحاشية): بلغ في الرابع كمّل الله له التوفيق والهدى...

[6] ش: الرسم في الحال.

[7] ع، ز: فهذا.

وكذلك الثاني أيضًا: مَن شاهد نفسَه ولم يُشاهد ربَّه؛ فهو مشرِكٌ، صاحبُ دعوىٰ وغفلة. نعوذ بالله من هذين المقامين.

والكاملُ علىٰ التحقيق، الذي هو كاملٌ لا يوجَد غيرُه إلّا مجازًا: مَن شاهَدَ رَبّه عِلمًا وحالًا، وشاهَد نفسَه حالًا لا عِلمًا؛ فإنّ المعلومَ المشار إليه هنا معدومٌ أصلًا. وإلى هذا المقام أشار أبو العبّاس القاسم بن القاسم السيّاري بقوله: "ما التذّ عاقلٌ بمشاهدةٍ قط". لأنّ مشاهدة الحقّ فناء ليس فيها لذّة. إلّا أنّه قوي علىٰ صاحب هذه المشاهدةِ مشاهدةُ العلم علىٰ مشاهدة الحال، وإن حصلا في مقام واحد. وهذا الشيخ يقول ببقاء الرسم بدليلِ قوله: "ما التذّ عاقلٌ" وهذا هو بقاء الرسم.

فإن قلنا فيه: "وشاهد نفسَه حالًا وعلمًا" كما قلنا في مشاهدته ربَّه، فإنّما يتعلّق هنا بمعلومٍ معدومٍ غير موجود رأسًا.

فإذا تقرّر هذا، وقد تبيّنَ أنّه الحقُّ؛ فهو صاحب فائدتين: فائدة المعاينة، وفائدة اللذّة؛ أو المعرفة[1] التي تحصل له عند المعاينة ببقاء[2] الرسم في المشاهدة.

وصاحبُ فائدتين هو العالِم لتعلّقِ العلم – كما قلنا – بالمفعولَين.

ومَن لم يتحقّق بهذا المقام فهو العارف ذو الفائدة الواحدة من هاتين الفائدتين التي للعالِم كما تقدّم.

فلو صحّتِ الموافقةُ مع الحقّ، كما ذكرناه في "نجم العناية" المتقدّم، لَصَحَّ التوفيق في عالم الشهادة، وكنّا نقول بفضل العلم علىٰ المعرفة والعالِم علىٰ العارف.[3]

---

[1] ب: والمعرفة، ع: إذ المعرفة

[2] ببقاء: بسبب بقاء، أو نتيجة لبقاء

[3] ق (في الحاشية): بلغ العرض.. (ثم:) بلغ مقابلة وسماعا لابن إسحق بقراءته علىٰ شيخه المنشئ رضي الله عنه.

تنبيه:

الكلام الذي ذكرناه عن سهلٍ - رضي الله عنه - حكاه[1] القاضي الزاهد، أبو عبد الله الحسين بن موسىٰ السُّلَمي النيسابوري، في: "إيضاح الطريق في أصول أهل التحقيق المسمّين بالملاميّة" له. والكلام الذي ذكرناه عن الجنيد في سَهْلٍ مذكورٌ في كتاب: "منتخب الأسرار في صفة الصدّيقين والأبرار." والكلام الذي ذكرناه عن أبي العبّاس السيّاري مذكور في "رسالة أبي القاسم القشيري".[2]

تأييد وسلطان:

ومما يؤيّد ما ذكرناه في حقّ العارف أنّه دون العالِم الصّدِّيق، لو شرح اللّهُ صدرَ مَن فَضَّله على العالِم، وتأدّبَ مع الحقّ - تعالى - إذ هم أهلُ الأدب معه بشرط الحضور؛ أنّ الله - تعالى - ما سمّىٰ عارفًا إلّا مَن كان حظّه من الأحوال البكاء، ومِن المقامات الإيمانُ بالسماع لا بالعِيان، ومن الأعمال الرغبةُ إليه سبحانه، والطمع في اللحوق بالصالحين، وأن يُكتَب مع الشاهدين. فقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ ولم يقل: "عِلموا"؛ فوصَفَهُم بالمعرفة، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿٨٥﴾﴾[3]؛ فأخبرَ - تعالى - أنّ سماعهم من "الكتاب الكبير" لا مِن أنفسهم. وهنا إشارةٌ يفهمها أصحابنا. ثمّ قال: ﴿فَأَثَابَهُمُ﴾ ولا نشكّ أنّ الصدّيقيّة درجةٌ فوق هاتين الصفتين اللّتين طلب العارفُ أن يلحق بهما. فهو

---

١ د: حكاية.

٢ د: بلغ مقابلة على المحقق خليفة بقرأة أبي الجفران؟ محمد ... الموصل وواحظه؟.

٣ [المائدة: ٨٣ - ٨٥]

دونهما، وقد سمّي عارفًا. وقال – تعالى –: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴿٦٩﴾﴾[١]، فانظر إلى هذه الدرجات.

ثمّ لتعلم أنّ الشهداءَ الذين رَغِبَ العارفُ أن يلحق بهم، هم العاملون على الأجرة وتحصيل الثواب[٢]، وأنّ الله – تعالى – قد برّأ الصدّيقين من الأعواض وطلب الثواب؛ إذ لم يقم بنفوسهم ذلك، لِعلمهم أنّ أفعالهم ليست لهم عيانا؛ فلم يتّجه لهم أن يطلبوا عِوَضًا، بل هم العبيد على الحقيقة، والأُجَراءُ أجانبٌ. قال – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾ ولم يذكر لهم عِوضًا على عملهم؛ إذ لم يقم لهم خاطرٌ به أصلًا، لِتبرّيهم من الدعوى. ثمّ قال: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴿١٩﴾﴾[٣]، وهم الرجال الذين رغِب العارفُ أن يَلحق بهم، ويُرسم في ديوانهم. وقد جعلهم – تعالى – في حضرة الربوبيّة. ولم يشترط في إيمان الصدّيقين السماع كما فعل بالعارفين؛ حكمةً منه – سبحانه – لنا أن نتعلّم الأدبَ، وكيف ترتّب[٤] الوجود حتى نُنزِل كلَّ موجودٍ منزلته، وأين تقتضيه مرتبته، ونقتصر على الاسم الذي سمّاه به الحقّ وعرّفنيه.

فعِلمُ الأسماء عظيمٌ، وفيه يظهر أدبُ أهلِ طريق الله مع الله، وبه صحّ الشرف لأبينا آدم صلى الله عليه. فلو قال آدم ﷺ: "نُسمِّي البغلَ حمارًا مثلًا، اصطلاحًا منّي، لأنّ أباه الحمار" لم يكن يقف عند ما علّمه الله. فصاحبُ الأدبِ المراعي حرمةَ الحضرة الإلهيّة؛ يقف عندها ويمشي معها، فإذا رَمَتَ له شيئًا لم تُعرّفه[٥] باسمه، حينئذ له أن يصطلح مع نفسه[٦] بما يقارب معناه إن كان حكيمًا.

---

[١] [النساء: ٦٩]

[٢] ش، ع: النور. ب: النوا.

[٣] [الحديد: ١٩]

[٤] في سائر النسخ ما عدا د: نرتب.

[٥] في سائر النسخ ما عدا د: يعرفه.

[٦] ع، ز (في الحاشية): + "في تسميته"،

ثمّ انظر بعين البصيرة أدبَ رسول الله ﷺ؛ أين جعل العارفَ حيث جعله الحقُّ فقال: «مَن عرف نفسَه عرف ربَّه» ولم يقل: "عَلِم" فلم يُزِلْهُ عن حضرة الربوبيّة، ولا عن نفسه، التي هي صاحبة الجنّة، كما قال: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ ۝٧١﴾[1]. فالعارفُ صاحبُ الشهوة المحمودة تربيةً[2] بين يدي العالِم الصدّيق. فتأدّب – يا غافل – عن ملاحظة الحقائق.

معذرةٌ:

أَعتذر بها عن أصحابنا في تسميتهم صاحبَ المقام الذي ذكرناه آنفًا: "عارفًا" ولم يسمّوه "عالِمًا"، كما قرّرناه[3]، وهو كان الأَوْلَى والأسدّ من كلّ وجهٍ. ولا عذر لمن تحقّق بالمقام المذكور في حيدته عن اسم العالِم إلى العارف، فإنّ الحُكم يتوجّه عليه في دعواه بلسان: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ۝٩١﴾[4] ويمشي حاله على الأدب الإلهيّ كما يعطيه المقام. ولكن غلبتْ عليهم – رضي الله عنهم – الغيرةُ على طريق الله؛ لمّا رأوا أنّه قد شاع في العالَم، أنّه يسمّى عالِمًا؛ مَن كان عنده عِلم مّا من العلوم، وإن كان قد أَكَبَّ على الشهوات، وتورَّط في الشبهات، بل في المحرَّمات، وآثر القليلَ على الكثير ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ۝٧٧﴾[5]. وهو عالِم بهذا؛ فعَمَّر دنياه وخَرَّب آخرتَه. فهذا شخصٌ تناقِضُ أفعالُهُ أقوالَهُ، وهو من الثلاثة الذين «تُسَعَّر بهم[6] النار» قبل كلّ أحدٍ، كما صحّ في الحديث الصحيح (الذي) خرّجه مسلم عن أبي هريرة. ثمّ إنّه إن تاب ورجع، فإنّ النفسَ مالكةٌ له وحاكمةٌ عليه. فغاية مجاهدته[7]

ب: – مع نفسه.

[1] [الزخرف: ۝٧١]

[2] ق، ب: تربيه.

[3] في سائر النسخ ما عدا د: قرنا.

[4] [الأنعام: ۝٩١]

[5] [النساء: ۝٧٧]

[6] د: لهم.

[7] ق، س: + وغايته.

أن يقنع بحظٍّ مّا دَنِيٍّ من الجنّة، على أنّه ليس ثَمّة[1] مِن دنِيّ. ومع هذا كلّه يطلَقُ عليه اسمُ العالِم.

فرأوا – رضي الله عنهم – أنّ المقام العالي الذي حصل لهم ولساداتهم كان أَوْلَى باسم "العلم" وصاحِبه بـ "العالِم"، كما سمّاه الحقُّ. فأدركتْهمُ الغَيرةُ أن يشاركهم البُطّالُ في اسمٍ واحدٍ؛ فلا يتميّز المقام، ولا يقدِرون على إزالته من البُطّال، لإشاعته في الناس، فلا يتمكن لهم ذلك. فأدّاهم الأمرُ إلى تسمية المقام "معرفةً" وصاحبه "عارفًا".

إذ العلم والمعرفة، في الحدّ والحقيقة، على السواء. ففرّقوا بين المقامين بهذا القدر، فاجتمعنا – والحمد لله – في المعنى، واختلفنا في اللفظ؛ إذ هذا الطريق لا يُتصوّر فيه خلافٌ في المعنى أصلًا. فإذا وُجِد؛ فإنّما هو راجعٌ إلى الألفاظ خاصّة، ولكنّه في حقّهم، بالإضافة لمن آثر تسمية الله على اصطلاحهم، وقتُ غفلةٍ مَرَّ عليهم لغلبة الغيرة عليهم، فيرجى لهم – بقصدهم تنزيه المقام وغَيرتهم – أن يحصل لهم ما حصل لأهل الحضور منّا. والحمد لله المنعِم المفضِل.

هداية

حدُّ العلم وحقيقته:

- المطلقة: معرفةُ الشيء على ما هو به.
- والمقَيَّدَة: العملُ به.

وهو الذي يعطيك السعادةَ الأبديّة، ولا تخالُفَ فيه. وكلُّ من ادّعى علمًا من غير عملٍ به، فدعواه كاذبةٌ إن تعلّق به خطابُ العمل[2]. فإذا تحقّق ما أردناه وما أشرنا إليه، فليقل مَن شاء ما شاء. وكلُّ حجّة تناقض ما أشرنا إليه

---

[1] ع، ز: ثم.

[2] في سائر النسخ ما عدا د: خطاب للعمل.

فداحضةٌ، وعلىٰ قائلها توبةٌ من الله ومغفرةٌ، والله غفور رحيم.

واعلم أنّ العلم نورٌ من أنوار الله – تعالى – يقذفه في قلب مَن أراده من عباده. قال – تعالى –: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ ﴿١٢٢﴾﴾[1] وهو العِلم، وهو معنًى قائمٌ بنفس العبد يُطلعه علىٰ حقائق الأشياء، وهو للبصيرة كنور الشمس للبصر مثلًا، بل أتمّ وأشرف. والعلماء فيه علىٰ ثلاثة أضرب:

١. منهم مَن قال باتّحاده.[2]
٢. ومنهم من قال بتوحيده.[3]
٣. ومنهم مَن قال بتعداده[4]؛ لكلّ معلومٍ علمٌ، وأنّه لا يتعلّق أصلا إلّا بمعلومٍ واحدٍ، يعنون العلم الحادث. ومنهم مَن قال علىٰ الإطلاق، ومنهم من قال: يتعلّق بمعلومين وثلاثة.

وتعداده علىٰ نوعين: يتعدّد بتعدُّد المعلومات. ويتعدَّد بالزمان. وهذا لا يُحتاج إليه في هذا الكتاب. فلنقبض العنان، وننظر في العلوم التي تقودنا إلى السعادة الأبديّة.[5]

---

[1] [الأنعام: ﴿١٢٢﴾] د: – يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ. + الآية.

[2] يقول الشيخ الأكبر في كتاب الحجب: الاتحاد: غلوّ في التوحيد، والتوحيد: معرفة الواحد والأحد. فالاتحاد حجاب عن الحقيقة والصواب؛ فإنه يَدَّعي فناءَ ما ليس بفانٍ، وعدم ما هو موجود.

[3] ع، ب، ز: بجواز اتحاده.

[4] ب: بتعديده، ز: بتعدده.

[5] ع (في الحاشية): "بلغ"، ز (في الحاشية): بلغ الخامس، يرزقه الله العلم والعمل به إنه جواد كريم...

باب
ما يُحتاج إليه من العلوم المرتبطة بالسعادة الأبديّة في دار السلام

أجناسُ العلوم كثيرةٌ؛ منها: علم النظر، وعلم الخبر، وعلم النبات، وعلم الحيوان، وعلم الرصد، إلى غير ذلك من العلوم. ولكلّ جنسٍ من هذه العلوم وأمثالها فصول تُقوِّمها وفصول تقسّمها. فلننظر ما نحتاج إليه في أنفسنا مما تقترنُ به سعادتنا؛ فنأخذه ونشتغل به، ونترك ما لا نحتاج إليه احتياجًا ضروريًا، مخافة فوت الوقت، حتى تكون الأوقات لنا - إن شاء الله تعالى -.

والذي نحتاج إليه من فصول هذه الأجناس فصلان:

١. فصل يدخل تحت جنس النظر، وهو علم الكلام.
٢. ونوعٌ آخر يدخل تحت جنس الخبر، وهو الشرع.

والمعلومات الداخلة تحت هذين النوعين التي نحتاج إليها في تحصيل السعادة ثمانية، وهي: الواجب، والجائز، والمستحيل، والذات، والصفات، والأفعال، وعلم السعادة، وعلم الشقاء. فهذه الثمانيةُ واجبٌ[1] طَلَبُها على كلّ طالبٍ نجاةَ نفسِه.

وعلم السعادة والشقاء موقوفٌ على معرفة ثمانية أشياء، أيضًا، منها خمسة أحكام وهي: الواجب، والمَحظور، والمندوب، والمكروه، والمباح. وأصولُ هذه الأحكام ثلاثةٌ، لا بدّ من معرفتها: الكتاب، والسنّة المتواترة، والإجماع. ومعرفةُ هذه[2] لا بدّ منها. والناس في تحصيلها على مرتبتين: عالِمٌ، ومقلِّد لعالِم.

فإذا عَلِمها الطالبُ، وصحّ نظرُه فيها؛ توجّهتْ عليه وظائفُ التكليف.

---

١ د: يجب.

٢ ع: (في الحاشية) + الأشياء.

فاختصّتْ من الإنسان بثمانية أعضاء: العين، والأذن، واللسان، واليد، والبطن، والفرج، والرِّجل، والقلب. والعلم بتكليفات هذه الأعضاء، هو العلم بالأعمال القائدة إلى السعادة، إذ العملُ[1] بها على حَدِّ ما نذكره في "نجم الولاية" عقيب هذا النجم.

وهذه العلوم - يا بنيّ، وفّقك الله، وشرح صدرَك - يحتمل أن تكون[2] هي الأنوار التي قال الله - سبحانه - فيمن عِلمها: ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ ﴿٢٢﴾﴾[3] وقال فيها - جلَّ اسمه -: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴿٨﴾﴾[4] وقال - عليه السلام -: «بَشِّر المشّائين[5] في الظُّلَم[6] إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة».

وهذه الأنوار لها ثمانية ألقاب. ولكلِّ نورٍ رجالٌ؛ وهم ثمانية أصنافٍ، ولهم ثمانية مقامات؛ ولها ثمانية ظُلَم. فأصحاب الشهوات في هذه الظلمات تائهون، كما قال -تعالى-: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾.[7] وأصحابُ الحضور والعناية؛ في الأنوار ينعمون؛ فهم على نور من ربِّهم. وطائفة أخرى، وهم أهل التخليط؛ تارة مع النور وتارة مع الظلمة، وهم المعترفون بالذنوب: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ

---

[1] في سائر النسخ ما عدا د: إذا عمل.

[2] ع، ب: - تحتمل أن تكون.

[3] [الزمر: ٢٢]

[4] [التحريم: ٨]

[5] ش: + الذين تمشون.

[6] انتهى هنا النقص الرئيسي في النسخة س، وهو الذي بدأ في الفقرة ٤ من "باب نتائج التوفيق في المعاملات الموقوفة على الظواهر". ويرتبك موقع الصفحات الأربع الفردية التالية بين تقديم وتأخير، وتسلسلها الحقيقي هو: ١٣٨ب، ١٣٩أ، ١٣٧ب، ١٣٨أ، ١٣٩ب، وينتظم بعد ذلك.

[7] [البقرة: ١٧]

يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴿١٠٢﴾[1].

هَزَمَ النُّورُ عَسْكَرَ الأَسْحَارِ فَأَتَى اللَّيْلَ طَالِبًا لِلنَّهَارِ

فَمَضَى هَارِبًا فِرَارَ خِدَاعٍ وَالْتَوَى رَاجِعًا عَلَى الأَسْحَارِ

وهذه الأنوار تسبَحُ في ثمانية أفلاك، ولها ثمان حركاتٍ، وثمانية مشارق، وثمانية مغارب، وثمانية مواسط، حيث نقطة الاستواء وتقابلها نقطة الحضيض.فألقابُها: الشمسُ، والهلال، والقمر، والبدر، والكوكب الثابت، والبرق، والسراج، والنار. ورجالها ومقاماتها ثمانية:

١. فالنور الشمسيّ لأهل المعرفة.
٢. والهلاليّ لأهل المراقبة.
٣. والقمريُّ لأهل الاعتبار.
٤. والبدريّ لأهل المسامرة.
٥. والكوكبيّ لأهل المراعاة.
٦. والسِّراجيّ لأهل الخلوات.
٧. والناريّ لأهل المجاهدات.
٨. والبرقيّ لأهل العلم؛ أهل الاختصاص الجامعين للمقامات، وهم أهل الذات[2]. وهو أرفع الأنوار وأعلاها؛ وهو لَمْحٌ يخطُر للعالِم لا يثبت لقوّته؛ فإنّه مُهلِك، لكن فائدته عظيمة لِمجيء رَغدِ الهيبة بعده وأمطارِ الأسرار. هذا إذا تجلّى هيبةً، فإن تجلّى جمالًا؛ فهو الخُلَّبُ.[3]

فهؤلاء هم رجال هذه الأنوار، وأحوالهم. وأمّا مقاماتها فثمانية؛ وأعني

---

[1] [التوبة: ﴿١٠٢﴾]

[2] ش: اللذات.

[3] برق الخلّب: هو الذي لا غيث معه، ومنه قيل لمن يعِد ولا ينجز: إنما أنت كبرق خلّب.

بمقاماتها: مدلولاتها التي هذه الأنوار دلائلُ عليها.

١. فمدلولُ البدر: الدنيا الكبرىٰ.
٢. ومدلولُ الكوكب الثابت: الدنيا الصغرىٰ.
٣. ومدلولُ السراج: الجنّة الكبرىٰ.
٤. ومدلولُ النار: الجنّة الصغرىٰ.
٥. ومدلولُ القمر: جهنّم الكبرىٰ.
٦. ومدلولُ الهلال: جهنّم الصغرىٰ.
٧. ومدلولُ الشمس: صفات المعنى.
٨. ومدلولُ البرق: صفات النفس.

والكَبُر[١]، من هذه، في العالَم الإنساني؛ والصَغُر[٢] في العالَم الكبير. فانظر و تحقّق. وظلمات هذه الأنوار ثمانية:

١. فنورُ الشمس يزيل ظلمة النفس.
٢. ونور الهلال يزيل ظلمة الشكّ.
٣. ونور القمر يُزيل ظلمة الغفلة.
٤. ونور البدر يزيل ظلمة الخيانة.
٥. ونور الكوكب يزيل ظلمة الجهل والشُّبَهة.
٦. ونور السراج يزيل ظلمة الوسوسة.
٧. ونور النار يزيل ظلمة الرعونة والكون.
٨. ونور البرق يزيل ظلمة التنزيه.

وأسرار هذه الأنوار كثيرة، لو ذكرناها خرجنا عن المقصود من الاختصار.

وهذا النورُ البرقيُّ يُغشي البصائرَ، ويرمي صاحبَه في بحار العجز والحيرة. لا يُدرَك بقياسٍ ولا يحصل بمثالٍ، ولا يرتقم في الخيال. هو السرّ الذي مُنِعنا عن

---

١ س: والكبرىٰ.

٢ س: والصغرىٰ.

كشفه، وهو المانع نفسَه لفردانيّته في الوجود، وتقديسه[1] عن القياس والتشبيه. فلا يقوىٰ أحدٌ علىٰ[2] التعبير عنه أصلًا، لعدم اجتماع اثنين علىٰ معرفة[3] المعنى الذي يليق به. وأنّه متى أخذ رسمًا؛ بخسيسِ قياسٍ أو مثالٍ بعيدٍ عن المقصد؛ كان وبالًا علىٰ صاحبه، وناقضًا[4] ما كان في نفسه من التنزيه له، وصار الوهم عليه مسلَّطًا بالتقدير.

فإن تعطّش المريدُ لِنَيل هذا السرّ الموهوب، الحاصل بالذوق لأرباب القلوب، الذي لا تستقلّ بإدراكه العقول؛ إذ لا توحيدٌ كاملٌ مع معقول، طَلَبَ الطريق الموصل له[5] إليه، وهو التخلّق الأسمائي[6] والوصف الربّانيّ، حتى يفنى عن كلّ كائن وغير كائن؛ وحينئذ بالحرىٰ إن بَدَتْ له منه لائحة، أو تنسَّم منه رائحة، علىٰ قدر محوه وإثباته، وفنائه وبقائه، وما يريده الواهبُ؛ فيلتذّ به إذ ذاك في نفسه. كذائق العسل مَع مَنْ عَدِمَ حاسّة الذوقِ؛ فهو ناظر في ذات العسَل، غير عارف بمعناه وحدِّه؛ فهل يتساويان في اللذّة؟ أبدًا، ولو سُوِّدت له القراطيس أقيسةً وأمثلة؛ ما التذّ أبدا لذّة الذائق له. فكم بين رجلين في مشاهدة العِيان مشتركين، وفاز أحدهما بلذّة حقائق الامتنان!. فازوا وخسر البطالون. واللهِ، لا سبق مُقَصِّرٌ مُجِدًّا أبدًا.

فما أشرفَ الإنسان حيث هو مجتمع الموجودات، ومحلّ المضاهاة، ومرآة المؤمن في الذات والصفات!. وما أوضَعَهُ حيث عمي عن معاينة ما أُخفي له

---

[1] د: وتقدسه.

[2] ق: عن.

[3] ع، ز: "لنقص الألفاظ عن هذا"، ب: "لنقص اللفظ عن هذا".

[4] ش، س، ع، ز: وناقض.

[5] ش: – له.

[6] ق، د: صحت في الحاشية إلى: الأسمائي. ش، س، ع، ز، ب: السماوي.

فيه من قرة أعين!. يا أسفاه، إذا فاز بلذّة وجوده سواه.[1]

معرفة أفلاك الأنوار الثمانية على الكمال

اعلم – يا بُنيّ، وفقك الله توفيق[2] المختصّين بنور البرق الذاتيّ – أنّ لهذه الأنوار السماويّة، والأقمار العُلويّة الروحانيّة، أفلاكًا من جنسها على أنواعها تسبح فيها، ما دامت هذه الهيئة الإنسانيّة الفلكيّة.

١. فنورُ المجاهدة يسبح في فلَك معرفة عيوب النفس، ودورانُه من المغرب إلى المشرق.

٢. ونورُ الخلوات يسبح في فلك اتّقاء الآفات، ودورانه من الشرق إلى الغرب[3]؛ إذ لو انعدمت الأغيار لم تحتج إلى خلوة، وهي ظاهرُ الكون. فلهذا كان دورانها من الشرق إلى الغرب. وعلى الظاهر والباطن تُنْظَر دوران هذه الأفلاك. فأصل حركات هذه الأفلاك: من الغرب إلى الشرق، وأحكامها في الوجود: من الشرق إلى الغرب. ولمّا كان الباعثُ على المُجاهَدة، في ظاهر الكون المراد، اهتمامَ القلب لحسرة[4] السباق: شَرعَ في تضمير[5] الجواد العتيق، وترييض المُصْعَب الفَنِيق[6]، حتى يحوز قَصَب السبق في شأوِ الحقّ، ولهذا كان دورانُه

---

[1] ق (في الحاشية) بلغ العرض. ع (في الحاشية): "بلغ"

[2] د: بنور.

[3] د، س، ع، ب: من المشرق إلى المغرب.

[4] حسرة: من شمر عن ذراعيه استعدادا وبلوغ النهاية في التلهف للسباق. ع: "في حلبة"، س: بحسرة.

[5] تَضْمِيرُ: الْفَرَسِ أَيْضًا أَنْ تَعْلِفَهُ حَتَّى يَسْمَنَ ثُمَّ تَرُدَّهُ إِلَى الْقُوتِ وَذَلِكَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

[6] وجاءت في النسخ "الفنيق المصعب" مع إشارة التقديم والتأخير في ق.

من الغرب إلى الشرق.

٣. ونور المراعاة يسبح في فلك ترتيب المعاملات، ودورانه من الشرق إلى الغرب.

٤. ونور المراقبة يسبح في فلك محافظة الحدود، ودورانه من الشرق إلى الغرب.

٥. ونور الاعتبار يسبح في فلك موازين الأعمال، ودورانه من الشرق إلى الغرب.

٦. ونور المسامرة يسبح في فلك التدبير، ودورانه من الشرق إلى الغرب.

٧. ونور المعرفة يسبح في فلك المشاهدة[١]، ودورانه من الغرب إلى الشرق. وفي هذه الأفلاك ما لها دورتان مختلفتان في أوقاتٍ.

٨. وأمّا النور الذاتيّ، الذي هو نور العلم، فإنّه يسبح في فلك التوحيد، وليس له مشرقٌ ولا مغربٌ، وهو أصل مادة الأنوار كما قال - تعالى -: ﴿تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴿٣٥﴾﴾[٢] لكن يظهر[٣] نورُه للذائقِ له المُعاينِ المحقِّق. ونتيجته؛ اتّحادُ الأشياء وفناءُ الكون عنده بالعلم والحال على حسب ما تقتضيه الحقيقة، حتى يكون التوحيد موحِّدًا موحَّدا، ولا شيء معه كما كان. وكالذي هو، ومثالُه طلوعُ الشمس من مَغْرِبها حِينًا مّا. ولهذا أعطيناه من أنوار الحسّ: البرقَ؛ لسرعةِ زواله؛ فيعود الغرب شرقًا، فتشرِق الجهات ولا يبقى مغرِبٌ. وإذا[٤] انتفى الغربُ انتفى ضدّه، من حيث هو شرقٌ لا من حيث ذاته. هكذا المشاهدة[٥]: الفناء من حيث أمرٍ مّا، لا من حيث الذات.

ولمّا كانت أبوابُ التوبة تُغلق عند ذلك، ولا يرتفع عملٌ، كذلك الذائقُ لهذه

---

١ ش: المجاهدة.

٢ [النور: ٣٥]

٣ ق: بظهور.

٤ ق، ش، ب: فإذا.

(٥) ق، د، ز، ع: + في (بين السطرين)

الحقيقة؛ تُذهِبُ[1] رسمَه، وتزيل[2] تكليفَه، وتفني[3] ذاتُه؛ إذ حقيقةُ المقام تعطي ذلك. فإذا رُدَّ لِعالَمِ الكون بالتبليغ، على أيّ وجهٍ كان، صار حالُه في حضرة التفريق متحرِّكًا، وحقيقتُه هناك ساكنةٌ كشفًا وعلمًا، كما هي هذه رسمًا وحُكمًا.

معرفة حركات هذه الأفلاك الروحانيّة

اعلم – يا بنيّ – أنّ لهذه الأفلاك حركاتٍ، وهي دَورانُها الذي ذكرناه. وينبغي لك أن تعرفها، حتى تضع كلَّ حركةٍ على فَلَكِها إذا تخلّقتَ بها، والله الموفّق.

فاعلم أنّ:

- حركة فلَك معرفة عيوب النفس؛ المسارَعَةُ إلى الخيرات.
- وحركة فلَك اتّقاء الآفات؛ المسابَقةُ إلى مجالس العلماء.
- وحركة فلَك ترتيب المعاملات؛ المبادَرةُ إلى معرفة الأوقات.
- وحركة فلَك محافظة الحدود[4]؛ المجاراةُ إلى الوفاء بالعهود.
- وحركة فلَك موازين الأعمال؛ الانتهاضُ إلى محاسبة النفس.
- وحركة فلَك التدبير؛ الاستعدادُ إلى التلاوة بتفريغ الخاطر.
- وحركة فلَك المعرفة؛ دوامُ الإخلاص.
- وأمّا حركة فلَك النور العلميّ الذاتيّ؛ فسكونٌ دائمٌ، ولكن ليس السكون الذي هو ضدّ الحركة؛ بل سكونُ تنزيهٍ وتقديسٍ. فإن أُضيف إليه يومًا مّا، حركةٌ على جهةٍ مّا في حقّ مَن جهل الحقيقة؛ فتكون حركةَ إفاضةٍ ورحمةٍ وغفرانٍ ووهبٍ، كما قال – تعالى –: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾[5] و ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ

---

١ د، ش، ع: يُذْهِب.

٢ د، ش، س: ويزيل. ع: ويزول.

٣ د: يفني. ب: وتبقى. ورسمها في س: ويفنى.

٤ ش: المحافظة على الحدود.

٥ [الفجر: ٢٢]

الْغَمَامِ ﴿٢١٠﴾[1] و «ينزِل ربّنا[2] إلى السماء الدنيا[3]...» وأشباه ذلك.

معرفة مشارق هذه الأنوار، ومواسطها، في الاستواء والحضيض، ومغاربها

اعلم - يا بنيّ، تبنّاك الاختصاص الإلهيّ والاجتباء الاعتنائي - أنّ لهذه الأنوار، كما ذكرنا، مشرقًا وموسطًا - وهي نقطة الاستواء، ونقطة الحضيض تقابلها في دورة الفلك - ومغربًا.

فمشرقُ نور المجاهدة: التّحول[4]، وموسطاه[5]: الصمت، ومغربه: الخرس.

ومشرق نور الخلوات: الإطراقُ في المحافل، وموسطاه: الفرح بالانفصال عنها، ومغربه: الأُنس في كلّ الأحوال.

ومشرق نور المراعاة: الابتهالُ في الدعاء، وموسطاه: الإجابةُ إلى الإجابة، ومغربه: الأدبُ.

ومشرق نور المراقبة: إمساكُ الجوارح عن المحارم[6]، وموسطاه: إمساكُ النفس عن المباحات، ومغربه: إمساكُ القلب عن طوارق الغفلة، والكونُ غفلة، فافهم.

ومشرق نور الاعتبار: السياحةُ في البلدان، وموسطاه: الهروبُ إلى الآكام، ومغربه: الوجودُ في أيّ موضع كان.

---

(١) [البقرة: ٢١٠]

٢ ش: ربك.

٣ ق، ع: سماء الدنيا، س: – الدنيا.

٤ س (رسمها): التحول.

٥ ع: عدلت إلى "ووسطه"، ب: وموسطه "وهي كذلك في بقية الصفحة حيثما وجدت" لكل من ع، ب.

٦ ش: المحرمات.

ومشرقُ نور المسامرة: الصدقُ في التهجُّد، وموسطاه: الالتذاذُ بسماعه: ﴿إِيَّاكَ﴾ ومغربه: تلاوتُه عليك.

ومشرق نور المعرفة: الفناءُ، وموسطاه: البقاء، ومغربه: الحكمة.

ومشرقُ نور العلم: الولاية، وموسطاه: النبوّة، ومغربه: الرسالة.[1]

---

[1] ق (في الحاشية): بلغ في مقابلة لابن رضي الله عنه. د (في الحاشية):

الفلك الخامس الإيماني

المطلع الثاني العياني

هلال محاقٍ طلع بنفس الإمام المدبِّر في عالم الجبروت والملكوت؛ فاهتدى

ألم يعلم الشيخ الإمام أنّه لّما اجتمعت الأنوار في نادي المساجَلة، وأخذوا في المناضَلة، وأنصتَ الجمعُ، وأُلقي السمع، أَخبر أُولو المعاينة والفهم؛ أنّه ما طاش لأحدهم[1] سهم، إلّا – بحمد الله – أصاب القرطاس، وأقام العدل في افتخاره والقسطاس.

وأوّل من قام الشمسُ، فأظهر ما في النفس.

صعدتِ الشمس على منبر القدس، وقالت:

شمس؛ أشرقت النفس، أنارت الحس، في الليالي الدَّبْس[2]، تعالتْ عن الجنس، تجلّتْ في حضرة الأُنس، أنكرها الإنس، لّما وقع اللبس، حُبِسَتْ بأضيق حبس، قُيِّدت باليوم والأمس، كثف اللمس، جاء نداءُ الهمس؛ يدخل أكرمُ بَعْلٍ بأطهرِ عرْس، في بيت القدس. كفَرَتِ العربُ وآمنتِ الفُرس؛ إذ هم

---

[1] ق: لأحد.

[2] الدَّبْس: الأسود من كل شيء، فيكون هنا: الليالي المظلمة. ب، د: الدنس، م: الدمس.

الفصحاءُ الخُرس. ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴿١٢٤﴾﴾[١] من[٢] الخُمُس[٣]، ثمّ أنشدتْ:

شَمْسُ الهوَىٰ فِي النُّفُوسِ[٤] لَاحَتْ ... فَأَشْرَقَتْ عِنْدَهَا القُلُوبُ

الحُبُّ أَشْهَى إِلَيَّ مِمَّا ... يَقُولُهُ العَارِفُ اللَّبِيبُ

يَا حُبَّ مَوْلَايَ لَا تُوَلِّ ... عَنِّيَ فَالْعَيْشُ لَا يَطِيبُ

لَا أُنْسَ يَصْفُو لِلْقَلْبِ إِلَّا ... إِذَا تَجَلَّى لَهُ الحَبِيبُ

ثمّ نزلتْ.

وصَعِد الهلالُ على منبر الوصال، وقال:

هلال؛ أهلّ فأزال شُبه[٥] الاتّصال بالمتعَال، ببرهان الانفصال، فظهر المِثل في المثال كالآل[٦] أو اللآل، فيما يعطيه الخيال. فصال، وتحكّم وطال، وتكلّم فأطال. كلامٌ عال، عذبٌ زلال، سحرٌ حلال، السابقة والمآل، سِيّان عند الرجال، لا تُنال إلّا بصفاء الأحوال، ونتائج زكيّ الأعمال. ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ ﴿٤٦﴾﴾[٧]، في ميدان القتال، يوم تُدعى نَزال، عند الظهيرة والزوال. فالتزم يا بطّال، مقارعة الأبطال، ولا تشتغل بالمحال، إن أردت أن تكون من أهل

---

[١] [الأنعام: ١٢٤]

[٢] ش: – من.

[٣] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ ﴿٤١﴾﴾ [الأنفال: ٤١]

[٤] د: في القلوب. ثم صححت في الحاشية: النفس.

[٥] مصحفة في ع، ز وتقرأ: شبه، شبهة.

[٦] د: كالسراب.

[٧] [الأعراف: ٤٦]

الوصَـال، ثم أنشدَ:

أَهَلَّ الهِلَالُ بِشَهْرِ الصِّيَامِ وَشَهْرِ الزَّكَاةِ وَشَهْرِ القِيَامِ
فَصَامَ الحَكِيمُ عَنِ اسْمِ وَأَفْطَرَ ذَاتًا بِدَارِ السَّلَامِ
وَقَالَ: أَنَا الحَقُّ؛ فَاسْتَمْتِعُوا بِنُورِ التَّجَلِّي وَحُسْنِ الكَلَامِ
تَعَالى[1] الهِلَالُ بِأَوْصَافِهِ عَلَى بَدْرِهِ الفَرْدِ عِنْدَ التَّمَامِ

ثمّ نزل. وصعِد القمر على المنبر الأزهر، وقال:

قمر، طَلّ فنوّر، وتكلّم فسحر، فنظم ونثر، الجواهر والدُرر: أنا السرُّ الأكبر، والبرزخ الأظهر[2]، صاحبُ المقام الأزهر، والنور الأبهر. الله أكبر. سبحاني لا أكثر، نظرِ الناظر فاعتبر؛ جمالًا قد بهر، وجلالًا قد غمر، كلَّ مَن شاهد ونظر، ممّن[3] تَكشَّفَ[4] أو تَستَّرَ.

العلم سِرُّ القدَر، والمعرفة نتيجة الفِكَر. نفسٌ تُقبَر، وروحٌ تزهر[5]، وسِرٌّ يقهر، حمل الكلَّ فمر، على ﴿ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾[6] ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ بالعين ﴿عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾[7]، فهي ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾[8]. جسم غبر، لمّا قُبر، روح سهر، يبكي درر، على الغِيَر، جاء الحبر عند السَّحَر: ما

---

[1] س، ب: تعالى

[2] ش، ب، ز: الأظهر، غير واضحة في ق.

[3] س، ب: فمن

[4] د: كشف. ش: يكشف.

[5] س،ع: يزهر. ش: مهملة.

[6] [القمر: ١٣]

[7] [القمر: ١٢]

[8] [القمر: ١٤]

تنتظر؛ يا روحُ سِرّ، للمقتدِر، آن السفر، عن البشر، حيث الشَرَر[1]، عِشْ في نَهَر، على سُرُر، يوم أغر، طَلٌّ نثر، على الزَهَر، لا تنتظر، من قال شر. إنّ الأشِر، إذا بطِر[2]، يصلي سقر. ثمّ أنشـد:

قَمَرٌ شَاهَدَ الغُيُوبَ عِيَانًا ... بَيْنَ جِسْمٍ وَبَيْنَ رُوحٍ دَفِينِ
وَحَبَاهُ الإِلَهُ مِنهُ بِعِلْمٍ ... لَمْ يَنَلْهُ بَعْدَ المُطَاعِ المَكِينِ
غَيْرُهُ، فَانْعَمُوا بِمَا لَاحَ فِيكُمْ ... مِنْ سَنَاهُ البَهِيجِ عِنْدَ السُّكُونِ

ثمّ نزل. وصعد البدرُ على المنبر النَذْر، وقال:

بدر؛ بدا في[3] الصَدر، قال: أنا الجليل القدر، والبيت اليتيم النذْر، ذو الرداءِ الغَمْر[4]، لستُ بِنكسٍ ولا غُمْر[5]. قرّبني فاسودَّ الشهر، قابلَني كانت الليالي الغرّ، أضاءت بي الكثبان العُفْر. تحدّثت الأعراب في الليالي القُمْر. يميني اليُمْن ويساري اليُسْر. أنا قائد الزهر، صاحبُ المدّ والجزر، أمددتُ النهر، كان الكثر، على أنّه النزر. توالى البَرُّ[6]، صحبني الكَبَرُ[7]، سَدَل الستر. قلت: أنا الغُمر. أُعطيتُ الصبر، اعترفتُ بالفقر. قُبِل العُذر، جاء البِشْر، صحوتُ من السُّكْر، صارت العَتمة كالظُّهر، قمتُ بالشكر، بقيّة العمر، إلى مَن له الخلق والأمر. ثمّ أنشد:

---

[1] س: الشبر، ز: السرر.

[2] د: نظر.

[3] ش: – بدر؛ بدا في.

[4] د (في الحاشية معناه): الواسع.

[5] د (في الحاشية معناه): جاهل. الغُمْر: الذي لم يُجرِّبِ الأمورَ.

[6] أي ظهر الأرض وظهر نبات الكَبَرُ.

[7] الكَبَرُ : نبات مُعمَّرُ من الفصيلة الكَبَرِيَّة ، يَنبُتُ طبيعيًا ويُزرَعُ ، وتُؤكَلُ جذورُهُ وسوقُهُ مملَّحةً ، وتُستعمَلُ جذوره في الطب.

البَدْرُ فِي المَحقِ لَا يُجَارَىٰ   وَفِي تنَاهِيهِ لَا يُحَدُّ
صَحَّ لَهُ النُّورُ بَعْدَ مَحْوٍ   ثُمَّ إِلَيْهِ يَعُودُ بَعْدُ
سَرَائِرٌ سِرّها ثَلَاثٌ   رَبٌّ مَلِيكٌ واللهُ فَرْدُ
فِي المَحقِ صَحَّتْ لَهُ فَأَثْنَتْ   عَلَيْهِ لَمَّا أَتَاها يَغْدُو[1]
جَاء بِهَا فِي التَّمامِ رَبًّا   ثَلَاثَةٌ طَيِّهِنَّ عَبْدُ[2]

ثمّ نزل. وصعد الكوكب على المنبر المركّب. وقال:

كوكب؛ طلع ولم يتنكّب[3]، عن طريق المذهب، توسّط الموكب، ذهب في كلّ مَذْهب، أبقى مَن أبقى وأذهبَ من أذهب، تولّع بذاتِ ريقٍ أشنبْ[4]، من جآذرِ الربرب. أَنْصَبَ قلبَه وأتعب، قلب تقلّبْ، دمع يُسكَبْ، يسأل ويرغب، في تقضّي لُبانات الفؤاد المعذَّب.

قيل له: تطيّبْ في كلِّ مشرب، وحينئذ تُقرَّبْ، وإلّا فشرِّق أو غرِّب. تحيَّرَ في المطلب، بين أن يَقرب أو يَغرب.[5] قال: طراز مذهب. جَزْع لم يُثقب، قرطاسٌ لم يُكتب، عجبٌ لمن يتعجّب. وقع الترجيح كَذب، رَمَتْه الشُهب بين جدٍّ ولعب. نطقتْ بتعنيته[6] الكتب، لمّا لم يترتّب. صبّ كذب، خاف الرِّيَب،

[1] ق: يعد (مهملة) د: يعدُ. ش، ب، ز: بعد. س: يعبد. ع: يعدو.

[2] ع (في الحاشية): "بلغ"، ز (في الحاشية): بلغ سيدنا زين الدين رقى الله به إلى أعلى عليين... في السادس من المجالس، والحمد لله رب العالمين.

[3] ع، ب: ينتكب

[4] س: + العذب. أَشْنَب أي ما يجده العارف من شراب صاف، إشارة إلى ذوق العارف من التجليات.

[5] د: يقرَّب أو تغرَّب.

[6] التعنية: الحبس، وفي ز، (ع مصحفة): بنعتيته.

كذب، حين انتحب. حنق وغضب، لمّا عُتب، بَرَز في أثوابه القُشُب[1]، أتاها بجميع القُرَب، وقف موقف سَلَب، سأل الإقالةَ من العَطَب، نَظَم وخَطَب: صبٌّ رغِب[2]، اعترف بالنقص والكذب. مَن آل العَرب، هام في العُرُب[3]. جاء يرتقب، جُدْ عليه بما طلَب. خرج إليه منتقب: قصِّر[4] ولا تطنّب، أوجِز ولا تُسهب، دُعِيتَ فأجِب، سَلِّم بما يجب. ﴿اضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ[5] مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴿٣٢﴾﴾[6] يا كوكب فاقترب. ثمّ أنشد:

كَوْكَبٌ قَالَ بِتَنْزِيهِ نَفْسِهِ ... فَرَمَاهُ العُجْبُ فِي سِجْنِ رَمْسِهِ

طَلَعَتْ حِكْمَةُ مَوْلَاهُ لَيْلًا ... لَمُحَيَّاهُ فَأَوْدَتْ بِنَفْسِهِ

فَشَكَا الكَوْكَبُ وُجْدًا وَشَوْقًا ... لِسَنَاهَا عِنْدَ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ

قِيلَ يَا حِكْمَةُ، هَذَا مُحِبٌّ ... جَاءَكُمْ يَرْغَبُ وَصْلًا بِخَمْسِهِ

قَبَضَتْهَا وَأَتَتْ فِي حُلَاهَا ... نَحْوَ بَارِيهَا وَحَطَّتْ بِقُدْسِهِ

وَدَعَتْهُ، فَأَتَاهَا مُجِيبًا: ... يَا مُحِبًّا يَشْتَهِينَا لِنَفْسِهِ

اشْكُرِ اللهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ... وَابْتَنِ لَيْلَكَ هَذَا بِعُرْسِهِ

ثمّ نزل. وصعد النار على منبر الأنوار، وقال:

نارٌ؛ أحرقت الأغيار، ومحقت الآثار، وخَرقتِ الأستار، أظهَرتِ

---

[1] د (في الحاشية): الجديدة.

[2] ش: غرب.

[3] ز: الغرب.

[4] ش: قصره.

[5] رسمها في ق، د: جناحيك.

[6] [القصص: ٣٢]

الأبكار[١]، كشفتِ الأسرار، لأهل البصائر والأبصار. سِرٌّ في الأُوار، لا يعرفه إلّا الدمع المِدْرار، لو أنار، ما تعذّب عاشقٌ بِنفار[٢]، ولا تنعّم بقربِ مزار، ولا باتّصال دِيار، ولا بكى الأطلال، ولا ندَب الآثار. وَجَبَ السِّرار، لهذه الأنوار؛ فإنّها محلّ الأسرار. فأنوار التجلّي لا تصحّ مع الأغيار، إلّا للمحبّين الكفّار[٣]. ثمّ أنشد:

النَّارُ تُضْرَمُ فِي قَلْبِي وَفِي كَبِدِي ... شَوْقًا إِلَى نُورِ ذَاتِ الوَاحِدِ
فَجُدْ عَلَيَّ بِنُورِ الذَّاتِ مُنْفَرِدًا ... حَتَّى أَغِيبَ عَنِ التَّوْحِيدِ
جَادَ الإِلَهُ بِهِ فِي الحَالِ فَارْتَسَمَتْ ... حَقِيْقَةٌ غَيَّبَتْ قَلْبِي عَنِ الجَسَدِ
فَصِرْتُ أَشْهَدُهُ فِي كُلِّ نَازِلَةٍ ... عِنَايَةً مِنْهُ فِي الأَدْنَى وَفِي البُعُدِ

ثمّ نزل. وصعد السراج على منبر الابتهاج، وقال:

سراجٌ؛ هَدَى ذا اعوجاج، استضاء به النّاج، سلك الفِجاج، في ظُلَمِ الليل الدَّاج، كان له أقومَ معراج، إلى مقام الابتهاج[٤]، أُعطي الإكليل والتاج، وقيل: اسكن في قصر الأمشاج، حتى تعلم حكمة الازدواج، ولطّف ذات الكأس بالابتهاج[٥]، واغسله بالماء الثجّاج، حتى يمتزج صفاء السّراج بصفاء الزجاج، فإذا حسن المزاج صحّ النتاج، ولاحتْ أنوار الاختِلاج، وكان لصباح الحكمة

---

١ الأبكار يعني علوم التي لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ.

٢ س: بنقار. معنى نفار هنا الفراق.

٣ د (في الحاشية): هنا المحتجبين.

٤ س: الانتهاج. مشاهدة الابتهاج الذاتي بالكمال من حيث استصحاب الممكنات في ثبوتها لذاته.

٥ س: بالانتهاج، وحرف الباء مهمل في ق. أي أن القلب ما يجده من لذة التجليات يتلطف ويرق.

انبلاج، بالمقام المكرّم المحمّدي الناج، ثم أنشد:

سُرُجُ العِلْمِ أُسْرِجَتْ بِالهَوَاءِ لِمُرادٍ بِلَيْلَةِ الإِسْرَاءِ
أَسْرَجَتْهَا عِنْدَ العِشَاءِ لَدَيْهِ طَائِعَاتٍ كَوَاكِبُ الأَنْوَاءِ
فَاهْتَدَىٰ كُلُّ سَالِكٍ بِسَنَاهَا مِنْ مَقَامِ الثَّرَىٰ إِلَى الاِسْتِوَاءِ
ثُمَّ لَمَّا تَوَحَّدُوا وَاسْتَقَلُّوا رُدَّ أَعْلَاهُمُ إِلَى الاِهْتِدَاءِ
هَكَذَا[1] حِكْمَةُ المُهَيْمِنِ فِينَا بَيْنَ دَانٍ وَبَيْنَ دانٍ[2] وَناء

ثمّ نزل. وصعَد البرقُ على منبر الصِّدق، وقال:

برقٌ؛ لمع في جو الفرق، سُلطانه المحق، يليه الصعق، إن وَمَض في الصدق أَظهرَ الرتق، وإن وَمض في النطق أظهر الفَتق. يتردّد في الخلق، بين غربٍ وشرق، وحقيقةٍ وحقّ، هو[3] سرّ ذاتيّة الحقّ، خدَم[4] الأنواءَ بالملك والرّق. يزيل الرنق[5]. ويذهب العشق. ويجود بالعتق، فهو في حلبة الأنوار حائزٌ قَصَب السَّبَق. ثمّ أنشد:

لَمَعَ البَرْقُ عَلَيْنَا عِشَاءً وَكَمِثْلِ الصُّبْحِ رَدَّ المَسَاءَ
وَسَطَا باسم حَكِيمٍ[6] فَأَخْفَى زَمَنَ الصَّيفِ وَأَبْدَىٰ الشِّتَاءَ
زَرَعَ الحِكْمَةَ فِي أَرْضِ قَوْمٍ وَكَسَاهَا مِنْ سَنَاهُ البَهَاءَ

---

[1] ش: هذه.
[2] ع: قاص.
[3] ع: فهو، ب: – هو.
[4] س: خدّم.
[5] د، س (في الحاشية): الكدر. وفي ع: الرتق.
[6] د: الحكيم.

الفلك السادس الإحساني
المطلع الثالث الإلهي
مطلعُ هلال ارتقابٍ طلَعَ بروح الإمام المدبِّر في برزخ الرحموت والرهبوت؛ فأضلّ وهدىٰ

ليت شعري؛ هل صَرَّحَ الحكيمُ في بستانِ مشاهَدَتِه بحمامتين مُطَوَّقتين[١] تجاوبتا في سورة المثاني، وليس سِرُّ أحدهما مغايرًا للثاني، في دوحة الروضة الغنّاء.

فصعد الواحد إلى حدّ الاستواء، ونزل الآخَر إلى مستقرّ الماء. فتناولا حقائق الأشياء: الصاعدُ علىٰ كشف الغِطاء، والنازلُ لتعليم الأُدَباء، ومَن يطيق بهاء العظمة والكبرياء، إلّا بلطف اللّطيف الأرجاء.

ثمّ كَرَّ النازلُ راجعًا، والصاعدُ جامعًا، فالتقيا في الهواء، فتعانقا تحت منطقة الجوزاء، وتناجيا علىٰ الكثبان العُفْرِ، في الليلة القمراء، لظلال الأفياء، واجتمع إليهما ملأُ الأرض والسماء، حتى ضاق متّسع البطحاء.

فقام الصاعدُ خطيبًا علىٰ منبر الطَّرْفاء، بلسان الاهتداء إلى العبيد والإماء: أهل المودّة والصَّفاء، وأهل الأهواء. فسقطتْ كواكبُ الأنواء علىٰ قلوب العلماء، فأمطرتْ معارفَ الكيمياء ومعالمَ السيمياء.

وقام النازل خطيبًا علىٰ منبر سدرة الانتهاء، وقد تأخّر عنها أمينُ الأمناء: أنا النور الثامن المستور في مضاهاة النظراء، فالتزِموا – معشر الملائكة والأنبياء،

---

[١] ع: هناك إشارة شرح بخط آخر، (في الحاشية): "هما الشريعة والحقيقة، ويؤيد بقوله: "تجاوبتا" قوله تعالى: "أوفوا بعهدي أوف بعهدكم."

وأهل المعاملة من الأولياء – قارعة السيساء[1]. فأمطرتْ كواكبُ الآلاء، في السنة الشهباء، على قلوب النجباء، والعالِمين من النقباء والبدلاء، بمعارف حقائق الفناء، ومعالِم تصحيح البقاء في اللِّقاء.

ثمّ انصرف الجمعُ على مَحجّة الاقتداء، إلى يوم الجمع والقضاء. واجتمع الطائران مِن بَعْدُ بالصَعْدة السمراء، واكتنفا[2] العوالم على السواء، فظَهر[3] الواحدُ وبَطن الآخرُ، من غير تدانٍ ولا تناءٍ.

فانظر -يا أخي- إلى معالم الأنباء، تعِش عيشة السعداء، فقد لعبتْ بك يدُ الأهواء، واسمع ما سامَرتْني به منزلةُ العذراء من جوّ السماء:

قُمْ[4] إِلَى الكَوْكَبِ السَّعِيْدِ إِمَامِي[5] عَنْ هِلاَلَيْنِ طَالِعَيْنِ أَمَامِي
فَإِذَا اسْتَقْبَلَا إِلَيّ جميعًا كُنْتُ سِرَّ اللَّيَالِي[6] وَالْأَيَّامِ
وإِذَا أَدْبَرَا بَقِيتُ وَحِيدًا سَاهِرًا لَا أَذُوقُ طَعْمَ المَنَامِ
ذَاكَ نُورُ الوُجُودِ بِالحَقِّ يَسْعَى مِنْ وَرَائِي بِهِ وَمِنْ قُدَّامِي
يَوْمَ فَقْرِي[7] وَيَوْمَ حَشْرِي لِرَبِّي وَبِهِ هِمَّتِي وَمِنْهُ اهْتِمَامِي
إِنَّ سِرِّي وَإِنَّ سِرَّ حَبِيْبِي وَاحِدٌ أَوَّلًا وَعِنْدَ الخِتَامِ

---

١ أي طريق المسير.

٢ د: واكتنف.

٣ ش: كظهر.

٤ ش، ع: قل، ز (مصحفة): هل أو مل أو قل.

٥ ب: إماما، والحرف الأول في ع يسمح بقراءته كذلك: أمامي، وغير واضحة في ق

٦ ش: الليال.

٧ إشارة إلى فيض الوجود إلى الأعيان.

هُوَ غَيْرِي إِذَا بُعِثَت[1] رَسُولًا وَهْوَ ذَاتِي بِقُدْسِ دَارِ نِظَامِي

خَادِمِي نُوْرِيَ الَّذِي كَانَ عِنْدِي وَالَّذِي عِنْدَ مَنْ هَوِيتُ غُلَامِي

يا أَخِي فَالْتَفِتْ لِحَالِكَ وَانْظُرْ فِي وُجُودِي بِطَرْفِكَ الْمُتَعَامِي

تَرَ غَيْرِي إِذَا افْتَرَقْتُ إِمَامِي وَإِذَا مَا اجْتَمَعْتُ كُنْتُ إِمَامِي

---

[1] د: بغيت.

مَعْقِلُ أُنْسِه

ليت شِعري؛ هل أُشْهَدَ الحكيمِ مهيمن خَلّاق[1]: صِفَتَيَ إشراق، ذواتَيَ أطواق[2]، عاشا في ارتفـاق، بين عاشقٍ توّاق، ومعشوقٍ ذَوَّاق. حَلَّ الإملاق[3]، زال الإشفـاق، وقع الفراق، نادتْ بالأشواق، دمعٌ يُراق[4]، ونفسٌ في التَّراق، هل مِن راق، أو مِن وليٍّ واق، قولٌ غير مصداق. نزلتْ واحدة لِمَاءٍ مُهراق، أَماطتِ الاختلاق[5]، ارتفعتْ أخرىٰ علىٰ جوادٍ طرّاق. انفرجتِ الطباق، وُهِبَتْ مفاتيحَ الأخلاق. فتحت الأغلاق. دخلت في المُحاق، أُعطيت الإشراق، ثلاث مقامات علىٰ اتّساق، ساقتِ الأمرَ أحسنَ مساق، تجلّتْ بالإرفاق، وقع الإطراق، سُوِّدَتِ الأوراق، أُمْتُطِيَتِ[6] العِتاق[7]، وقع السباق، ﴿الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾[8]، فاز السُّبّاق بساق المساق. زُجَّ البراق، خرج عن الأطباق، التقتِ[9] الأحداق[10]. تُذَكِّر عهداً[11] وميثاق، كان التلاق. اتّحد الافتراق، وقع الاتّفاق، علىٰ ترتيب الإنفاق، وُجِّه نجم برّاق، بصيحة[12] ﴿مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ

---

[1] س: "هل أُشهدَ الحكيمُ المُهَيمن الخلّاق."

[2] أي حال العين الثابتة علىٰ ما كنت عليها في العلم.

[3] اي زال الفقر الذي هو العدم إلى الوجود.

[4] د: برّاق.

[5] ش: الأخلاق. غير واضحة في ق.

[6] ب: أُعطِيت، ع، ز: أُمطيت.

[7] العتاق: النجائب من الإبل والخيل وغيرها.

[8] ,

[9] س، ز: التفت.

[10] ش: – التقتِ الأحداق.

[11] ش: تذكّر عهد. ق: تُذكر عهد، والحرف الأول مهمل في س. أي تذكر العهد والميثاق الست بربكم.

[12] س: نصيحة.

﴿١٥﴾[1]. هَمَتْ سحبٌ بغيداق[2]، حلّت الوثاق، جادتْ بالإطلاق، حصل العتاق[3]، نَبَتتِ الأوراق، درّتِ الأرزاق، شنشنةٌ[4] أعرفها من رزّاق.

جِسْمٌ بِلَا رُوحٍ ضَجِيعُ الرَّدَىٰ غُصْنٌ ذَوَىٰ يا لَيْتَهُ أَوْرَقَا
رُوحٌ بِلَا عِلْمٍ وَهَىٰ بَيْتُهُ لِرُؤْيَةِ الأَغْيَارِ إِذْ أَخْلَقَا
افْتَقَرَ الكُلُّ إِلَى جُودِهِ أَهْلُ الأَبَاطِيلِ ومَنْ حَقَّقَا
فَوَجَّهَ الأَنْوَارَ سَيَّارَةً أَنَارَتِ المَغْرِبَ والمَشْرِقَا
فَأَشْرَقَ الجِسْمُ بِأَنْوَارِهِ وأَظْهَرَ الأَسْرَارَ إِذْ أَشْرَقَا
فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي قَدْ وَقَى مِنْ شَرِّ مَا يُحْذَرُ أَوْ يُتَّقَى[5]

---

[1] [ص: ﴿١٥﴾]

[2] بغيداق: الخيل الطويل.

[3] د: العناق.

[4] د، س (في الحاشية): طبيعة.

[5] ق (في الحاشية): بلغ.

المرتبة الثالثة: في عمل الولاية
الفلك السابع الإسلامي الموقع الثالث العملي
موقع نجم ولايةٍ وقع بقلب الإمام المدبّر في عالم الشهادة؛ فعنّى[1]

قال الله - تعالى -: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾.[2] أخبر - تعالى - أنّ أصحاب الأعمال، الحافظين لحدودِ الله، الموفين بما عَاهدوا الله عليه، المشتغلين بكلّ عملٍ توجّهَ عليهم منه في أوقاتهم؛ أنّ لهم الآخرة والأُولَى: أعطاهم مُلك الدارين، ونزّههم في العالَمين، وذكرهم بلسان صدقٍ فيمن عنده وفي كتابه العزيز منّةً منه وطَوْلًا ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾.[3]

فاعلم - يا بنيّ، أصلح اللهُ بالَك - أنّ الله - تعالى - ما أثنى على أحدٍ من عباده في كتابه، ولا على لسان نبيّه في حديثه؛ إلّا كان الثناء عملًا من الأعمال.

ما مدحهم إلّا بأعمالهم. فأعمالهم هي التي رَدَّ - سبحانه - عليهم، مع تولّيه لهم فيها. وهذا غاية الكرم والجود: أن يمنحك، ويعطيك، ويثني عليك بعد ذلك بما ليس لك. فإنّه - سبحانه - آخِذٌ بناصيتك، قائدُك إلى كلِّ فعلٍ أراده منك أن يوجِدَه فيك أو على يديك، وأنت في غفلة لا تشعر. فمن شعر بتولّي الحقِّ له في أفعاله، فهو من الذين قال الله - تعالى - فيهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَايِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[4] لأنّه في مشاهدةِ الفاعل ومناجاته. ومَن لم يشعر بذلك، فهو من الذين

---

[1] ب، ز: فغنى

[2] [الزمر: ٧٤] د: - وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ ... فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ.

[3] [البقرة: ١٠٥]

[4] [المعارج: ٢٣]

قال الله – سبحانه – فيهم: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾[1] فيقول العبد: صلّيتُ، وصمتُ، وتصدّقتُ، وجاهدتُ، وعملتُ، وسابقتُ إلى الخيرات، وشاهدتُ الجماعات. وقد استغرقتك المِنن، وسبحتَ في بحر نِعَمٍ إلهيّةٍ لا ساحل له. والله لو فَتح لك بابا إلى مشاهدة تولّيه لك فيها، وأخذِه بناصيتك إليها؛ لَبَهَرَكَ المقام، ولخرستَ، وما أعطاك الحالُ أن تقول: صلّيتُ، ولا صمتُ، ولا كنَّيتَ عن نفسك بشيءٍ من هذه الأفعال.

ألا ترىٰ الخليل ﷺ[2] قولَهُ في هذا المقام: ﴿الَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَالَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠﴾[3]؟! فانظر إلى أدبه في (قوله:) "مَرِضْتُ"، وانظر إلى الحكمة النبويّة في تفطّنه[4] حيث قال: ﴿وَالَّذِى أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ۝٨٢﴾[5]. فابحث – تولّانا اللهُ بما تولّى به عبادَه الصالحين –.

فطائفةٌ أثنى عليهم بالتقوى، وطائفةٌ بالإيمان، وطائفةٌ بالعلم؛ وهو من جملة الأعمال، فقال – تعالى –: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣﴾[6]. ثمّ فصَّلَ أعمالهم اعتناءً بهم وشرفًا، وتعليماً لنا، وهدايةً وبيانًا وموعظةً، فقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۝١٣٤﴾[7] الآيات. وقال: ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۝٢١﴾[8]. فما وَصَفَهم، لمّا وصفهم، إلّا بأعمالهم التي خَلق لهم.

ثمّ إنّه – سبحانه – ما نَصَّ على مقام يناله العبدُ عِندَه، إلّا قرَنَهُ بالعمل

---

[1] [الماعون: ٥]

[2] د: صلوات الله عليه.

[3] [الشعراء: ٧٨ - ٨٠]

[4] ق، ع: يقظته.

[5] [الشعراء: ٨٢]

[6] [آل عمران: ١٣٣]

[7] [آل عمران: ١٣٤]

[8] [الحديد: ٢١]

الصالح، كما قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾﴾.[1] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]، وقال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾[3] في حقّ أصحاب الرسوم، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ كنايةً عن أصحاب الهمم، ﴿عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾[4] كنايةً عن العلماء؛ وهم الأقطاب والرسل والورثة. إلى أمثال هذه الآيات النيّرات. فقد شاء - سبحانه - أن لا تُنال المقاماتُ على تفاصيلها، بتفاضل بعضها على بعضٍ، إلّا بعملٍ.

فإن قيل: "قد يرتقي الإنسان بالبلاء مقاماتٍ لا يُوصله إليها عملٌ، والبلاءُ ليس بعملٍ؟". وهذا غلط. فإنّ البلاءَ ما يُعطي مقامًا أصلًا، ولا يُرَقِّي أحدًا عند الله درجةً. ولو كان البلاءُ، بما هو بلاء، يَرفعُ درجاتِ مَن قام به عند الله، وينال به السعادةَ الأبديّة؛ لنالها أهلُ البلاء من المشركين والكفّار، بل هو في حقّهم تعجيلٌ لعذابهم، كما قال - تعالى - في المحاربين: ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ ثمّ قال: ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾.[5] فما يعطي[6] لأهل البلاء المقاماتُ إلّا بالصبر عليه أو الرضى به، كلٌّ على حسبِ شِربه. والصبر والرضى من جملة أعمال الأحوال المشروعة لنا، المأمور بها شرعًا، كما قال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴿١٢٧﴾﴾.[7] ولا يكون الصبر إلّا على بلاءٍ ومشقّةٍ.

---

[1] [يونس: ٦٣ - ٦٤]

[2] [فصلت: ٣٠]

[3] [القمر: ٥٤]

[4] [القمر: ٥٤ - ٥٥]

[5] [المائدة: ٣٣]

[6] ش: تعطى.

[7] [النحل: ١٢٧]

وأصلُ السعادةِ الجامعـةِ لها (هو) موافقتُك للحقِّ - تعالى - فيما أمر به ونهى شرعًا، كما تقدّم في "نجم العناية"، وموافقته توحيدًا في باطنه بنفي الأغيار، وتلك الموافقةُ عنايةٌ من الله ببعض عباده.

ولكنّه - يا بنيّ - ينبغي للعبد أن يعتقد أنّ أعمالَه لم توصله إلى نيل تلك المقامات، وإنّما أوصله إلى ذلك رحمةُ الله به، الذي أعطاه التوفيق للعمل، والقدرة عليه، والثواب. فحصول السعادةِ، أعني دخول دار الكرامةِ ابتداءً، إنّما هو برحمة الله - تعالى -. كما قال - عليه السلام - مِن أنّه «لا يدخل أحدٌ الجنّة بعملٍ. قيل له: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا، إلّا أن يتغمّدني الله برحمته». فالدخول برحمة الله، وقسمةُ الدرجات بالأعمال، والخلود بالنيّات. فهذه ثلاثة مقامات.

وكذلك في دار الشقاوة؛ دخولُ أهلها فيها بعدلِ الله، وطبقاتُ عذابها بالأعمال، وخلودُهم بالنيّات. وأصلُ ما استوجبوا به هذا العذاب المؤبَّد؛ المخالفةُ، كما كانت في السعادةِ الموافقةُ. وكذلك مَن دخل من العاصين النارَ؛ لولا المخالفةُ ما عذّبهم اللهُ شرعًا. نسأل الله لنا ولك وللمسلمين أن يستعملنا بصالح العمل، ويرزقنا الحياء منه - تعالى -.

واعلم - يا بنيّ؛ أسعدك الله سعادةَ من اصطفاه - أنه[1] أوّلَ ما يجبُ عليك -إن رُزقت الموافقة والتوفيق- العلمُ بالأمور، التي مهّدنا[2] لك في "نجم العناية". فإذا علِمتها؛ توجَّه عليك العملُ بها، وإن كان طالبُ العِلم في عملٍ من حيث طلبه، ولكن يعطيك العلمُ العملَ بأمور أُخَر، توجَّه عليك بها خطابُ الشارع[3]. كما أنّ العِلم لم يصحّ طلبُهُ إلّا بالعِلم. فمَن حصل له العلمُ بالأحكام التي يحتاج إليها في

---

[1] س، ب: أن.

[2] د، س، ع، ز: مهدناها.

[3] ق، ز: الشرع (في المتن)، وفي الحاشية: الشارع.

مقامه؛ ولا يُكْثِرُ مما لا يحتاج إليه[1]؛ فإنّ التكثير مما لا حاجة فيه سببٌ في تضييع الوقت عمّا هو أَهَمّ. وذلك إنّه مَن لم يعوِّل أن يلقي نفسَه في درجة الفتيا في الدين[2]؛ لأنّ في البلد مَن ينوب عنه في ذلك - حتى لا يتعيّن عليه طلبُ الأحكام كلّها في حقّ الغير، طلب فُضولِ العلم - فيأخذ منها ما توجَّه عليه في الوقت؛ مِن عِلم تكليف ذلك الوقت.

والعلمُ الذي يعمُّ كلَّ إنسان في الحال؛ عند البلوغ، على أحد أنواعه وشروطه من الإسلام وسلامة العقل: علمُ العقائد بواضحات الأدلَّة، إن كانت فِطرته تعطي النظر والنجح فيه.

ومَن لم يكن ذلك في فطرته، وكان جامدًا، يُخاف عليه - إن فُتِح له باب النظر - لإيراد شبهات الملحِدة؛ فمِثلُ هذا يُعْطَى العقائدَ تقليدًا مسلَّمة، ويُزجر عن النظر، إن أراده، في ذلك العلم بأشدّ الزجر. فإذا صحَّتْ عقيدته بالعلم أو التقليد؛ يُعَرَّفُ[3] بقواعد الإسلام.

فإذا عَرَف؛ تَرَتَّب عليه أن يَعرف أوقات العبادات. فإذا دخل وقت الصلاة، مثلًا، تعيّن عليه أن يعرف الطهارة وما تيّسر من القرآن، ثمّ يُعَلَّم الصلاة، لا يحتاج إلى غير هذا. فإن أدركه رمضان؛ وجب عليه أن ينظر في علم الصيام. فإن أخذه الحجّ؛ وجب عليه حينئذ عِلمَه. فإن كان له مالٌ، وحال[4] عليه الحَوْلُ، تعيَّن عليه علم زكاة ذلك الصنف من المال لا غير. فإن باع أو اشترى؛ وجب عليه علم البيوع والمصارفة. وهكذا سائر الأحكام لا تجب عليه إلّا عند ما يتعلّق به الخطاب؛ فذلك وقت الحاجة إليها.

فإن قيل: "يضيق الوقت عن نَيْلِ علم ما خوطب به في ذلك الوقت!" قلنا:

---

[1] ق، س، د: - إليه.

[2] ش: - في الدين.

[3] ش: - يعرف.

[4] ش: حلّ. س: خلّ.

لسنا نريد عند حلول الوقت المعيّن، وإنّما أريد[1] بقربِه، بحيث أن يكون له من الزمان، قدر ما يُحَصِّلُ ذلك العلم المخاطَب به، ويَدخل عَقِيبَهُ وقتُ العمل. وهكذا ينبغي أن يقرأ العلوم، وينظر[2] المعارف، ويربط الإنسانُ نفسَه بما فيه سعادته و نجاته. ولا يكون ممن قال - تعالى - فيهم: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ①﴾[3] لِيُقال. فقد ذَمَّ اللهُ ذلك في كثيرٍ من[4] العلم وقليلِه.

وليعمر أوقاتَه بما هو أَوْلَى به، وليحذر العبدُ أن تُفتح[5] له خزائنُ الغفلات أوقاتَ تصرُّفِه في المباحات، وليملأها بالذكر وأشباه المندوبات. وهذا لا يصحُّ له ما لم يعرف الواجبات حتّى يسارع إليها ويؤدِّيها، والمحظورات حتى يجتنبها، والمندوبات حتى يرغب فيها، والمكروهات حتّى يحفظ نفسَه منها، والمباحات حتى يتعوّذ بالله من الغفلة. و تحقيق هذه المعاني - التي هي أُمُّ الأحكامِ - أُصُولُ الفقه، ويعرفُ أيضًا ما تحت كلِّ واحدٍ منها على التشخيص مما يلزمه كما تقدّم. ومعرفةُ هذا من كتاب الله، وسنّة رسوله، وإجماع العلماء. فإذا عرفتَ هذا، ولازمتَ العمل؛ أنت الموفّق السعيد.[6]

واعلم أنّه إذا تقرّر هذا عندك؛ فإنّه ينبغي لك أن تعرف ما يَعُمّ ذاتك من الأحكام وما يخصّ. وأريد بالعامّ لذاتك: كلَّ عبادة إذا دخلتَ فيها حَرُمَ عليك التصرّف في غيرها، كالصلاة. وأريد بالخاصّ: كلَّ عبادة تختصّ ببعض الجوارح دون بعض، أو كلَّ عبادة لا تمنعك من إتيان بعض الأفعال المباحة.

واعلم أنّ عدد الأعضاء المكلّفة ثمانية؛ وهي: العين، والأذن، واللسان، واليد،

---

[1] س: نريد.

[2] ق، ع: تقرأ العلوم وتنظر.

[3] [التكاثر: ①]

[4] ق، ش، س، ب: – من.

[5] د: يفتح.

[6] ز (في الحاشية): بلغ في السابع، بلّغه الله منازل السعداء، ورقّاه إلى درجات الاصطفاء...

والبطن، والفَرْج، والرِّجل، والقلب. فعلى كلٍّ واحد من هذه الأعضاء تكليفٌ[1] يخصّه من أنواع[2] الأحكام الشرعيّة. ثمّ تُصرِّفها على الوجه الشرعيّ في محلّين خاصّة: إمّا في ذاتك، وإمّا في غيرك[3]. فالذي في ذاتك؛ منه ما يلحقك عليه المذمّة الشرعيّة عند الله – تعالى – أو المحمدة. فالمحمدة[4]؛ كالصلاة والصوم[5]، وما أشبه ذلك. والمذمة[6]؛ كضربك نفسَك بسكّين لتقتلها. ومنها ما لا يلحقك فيه مذمّةٌ ولا محمدةٌ؛ كصنف المباح. ولا يجوز لك هذا الفعل[7] إلّا في ذاتك. وأمّا في غيرك فلا، إلّا بشرطٍ مّا.

- فالذي لذاتك؛ كنظرك إلى عورتك.
- والذين هم غيرك ثمانية أصناف، خارجون عنك: الولد، والوالدان، والزوجة، ومِلك اليمين، والبهيمة، والجار، والأجير، والأخ الإيماني والطيني.

واعلم أنّ الله – تعالى – إذا أيّدك بالتوفيق للعلم، والعمل على الإخلاص؛ فتحَ لك بابًا إلى ملكوته – تمنعك[8] مشاهدةُ ما تجلّى لك وراءَ ذلك الباب؛ من طوارق الغفلات، والرجوع إلى عالم الشهوات – واشتغلتَ بموارد الحقِّ عليك من لطائفه وأسراره، وكشفِ حقائقه؛ وذلك هو علم التدلّي، وعلم التلقّي. فاسْعَ في تحصيله بمداومة الذكر، والخلوة، والطُّعْمة[9]، وقلّة الأكل، والورع في النطق، وتصرُّف القلب في فضول الخواطر.

---

١ ش، ب: تكاليف. غير واضحة في ق.

٢ س: بأنواع.

٣ د: غير ذاتك.

٤ ق، ش، س، ب: فالمحمودة.

٥ د: والصيام.

٦ ق، ش: والمذمومة.

٧ ق، ش، س، ز، ب: الفصل. ع: كلمة مصحفة.

(٨) ز: فيمنعك، د، ب: يمنعك

٩ أي كل ما يرزقك به الحق من لطائف الواردات.

ولتسجن نفسَك تحت آمِرٍ يأمرك وينهاك، وتَلْمَذْ له، واتَّخِذه[1] شيخًا مرشدًا؛ فإنّه إن لم تُجْرِ أفعالَك على مراد غيرك، لم يصحّ لك انتقالٌ عن هواك، ولو جاهدتَ نفسَك عمرك بما ترتّبه عليها، وإن صَعُبَ، لم تَزُلْ عن هواها؛ فإنّها المرتّبة على نفسها. وإن فُتح لها في لطائف المكاشفة وضروب المشاهدة، لم تَزُلْ بذلك عن رعونتها ورئاستها، التي لا يتمكن خروجها منها، إلّا بالانقياد إلى طاعةِ نفسٍ أخرىٰ مثلها، وتصرُّفها تحت أمره ونهيه؛ وذلك لكثافة حجابها وعِظَم إشراكها؛ حتى ترتقي إلى الآمِر على الإطلاق، ويكون ذلك سُلّمًا لها إليه.

ولذلك قال المحقِّقون: "كلُّ عملٍ لا يكون عن أثرٍ فهو هوىٰ النفس، وآخرُ ما يخرج من قلوب الصدّيقين حبُّ الرئاسة". وقال الحقّ لأبي يزيد البسطامي، في بعض مَشاهِدِه معه: "تقرّب إليَّ بما ليس لي: الذلّة والافتقار" وهذه إشارة إلى إزالة الرئاسة.

فاسْعَ – يا بنيّ – في طلب شيخٍ يرشدك، ويعصم خواطرَك، حتى تَكْمُلَ ذاتُك بالوجود الإلهيّ؛ وحينئذٍ تدبِّر نفسك بالوجود الكشفي الاعتصامي.[2]

---

١ د: وخذه.

٢ د (في الحاشية):

باب
علامات مَن تحقّق بأعمال أعضائه الشرعيّة

واعلم – يا بنيّ – أنّه مَن ادّعى مُراعاة التكليفات المتوجّهة عليه شرعًا في بصره؛ علامتُهُ الغضُّ عن نظرِ المحرّمات، والإطراق؛ وقايةً من النظرة الأُولَى المعفوّ عنها، وكلّ عملٍ توجَّه عليه في بصره شرعًا. ومَن لم يشاهد من أحواله مثلَ هذا؛ فدعواه كاذبة.

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات المتوجّهة عليه في سمعِه؛ علامتُه ما قال – تعالى –: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۝١٨﴾[1]، وسماع العلم، ومواظبة مجالس الذكر، والعمل بكلّ خيرٍ يسمعه.

وكلُّ مَن ادّعى هذا المقام؛ لم يزل يحنّ إلى الأوطان والحُداة. وعلاماتُ صدق حنينه إليها؛ العملُ بما يسمع على قدر الاستطاعة. فمَن نودي من جهةٍ قد تعشَّق بها وكِلفَ[2]، لكونها منزل حبيبه، حنّ إلى ذلك النداء. فمن ناداه حبيبُه من جهات؛ حنّ إلى تلك الجهات، ولم يرَ بها بدلًا.

فمن ناداه الحقُّ من الخلوة حَنّ إليها؛ فاستوحش من المخلوقات، وآثرَها على جميع المقامات.

ومن ناداه من الحَكَمِ؛ يباشِر الناسَ ولا يباشرونه.

---

[1] [الزمر: ۝١٨]

[2] كِلفَ أي مغرما بها.

ومن ناداه الحق[1] من التأثيرات المُرَقِّية[2]؛ يباشره[3] الناس حتى يؤذونه.

وكلُّ صاحبِ مقامٍ فَارِحٌ بمقامه،[4] مسرورٌ به، يدعو نفسَه وغيرَه إليه، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾[5] بخلاف المكمَّل؛ فإنّه لا يحنّ إلى مقامٍ أصلًا على الاختصاص، ولهذا لا يقتصر على مقام[6]؛ وإنّما هو صاحبُ الوقت، ورئيسُه، جامعُ الحِكَم. لا يدعو غيرَه أبدًا، إلّا من حيث يرى قوّته تميل إليه؛ فمن هناك يدعوه: إمّا بالموافقة أو بالمخالفة، على حسب ما يرى أنّه الأصلح به. ولا يدعو نفسَه إلّا من حيث حكمة الوقت.

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات المتوجّهة عليه في لسانه؛ علامَتُهُ: قلّةُ الكلام، إلّا فيما يُفْرَض عليه من[7] نصحٍ وتبليغِ رشدٍ وغيرِه، ودوام الذكر، واسترساله على التلاوة إن كان من أهل القرآن، وصدقه في الحديث وخجله إن كان من أهل الإلقاء فيما يخبر عن الحقّ، وبطؤه في الجواب عن المسألة إذا سُئِلها. وإذا سأل أن لا يسأل إلّا فيما له فيه فائدة سعاديّة، وأشباه ذلك.

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات[8] المتوجِّهة عليه في يده؛ علامتُه: أن لا يبطش بها في مُحَرَّم: مِن لمسِ امرأة لا تحلّ له، أو قتلِ إنسان أو لطمِه[9]، أو سرقِهِ، ولا

---

[1] د، ع، ب: – الحق.

[2] أي الأمور التي يترقى بها العارف.

[3] د: يباشروه.

[4] س: – ومن ناداه الحق من التأثيرات المُرَقِّية؛ يباشره الناس حتى يؤذونه. وكلُّ صاحبِ مقامٍ فَارِحٌ بمقامه.

[5] [المؤمنون: ٥٣]

[6] إشارة إلى مقام لا مقام.

[7] د: في.

[8] د، ش، س، ع: التكليف.

[9] ش، ز: بلطمه. س: يلطمه.

يمسّ ذَكَره بيمينه عند البول، وأن لا يستنجي به، وأن لا يدخلها في الإناء عند القيام من النوم، أعني في وضوئه، وأشباه ذلك.

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات[١] المتوجّهة عليه في بطنه؛ علامته: الورعُ، والاكتساب، والبحث عن الكسب. وإذا أكل أن لا يمتلئ من الطعام، ولا من الشراب، حذرًا من كسل الجوارح عن الطاعة، والإيثار بِقُوَّتِه. "فما مُلِيء وعاءٌ شرٌّ من بطنٍ مُلِيء بحلال".

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات[٢] المتوجِّهة عليه في فَرْجه؛ فعلامته: الحفظ من التحرك إلى غير أهله؛ من أحرار وإماء. وهو أمرٌ يقع في قلب العبد المعتنى به، على حسب مقامه. فيُسمّى ذلك الأمر في حقّ شخصٍ خوفا، وفي حقّ شخصٍ قبضا، وفي حقّ شخص هيبةً، وفي حقّ شخص جلالا. هذا مع الحضور. فإن كان غائبًا؛ كان في حقّه إمّا سُكرًا، أو محوًا[٣]، أو محقًا، أو فناءً[٤]، على اختلاف المقامات. وهذه كلّها على تفاصيلها؛ إذا تحقَّق شخصٌ مّا بأحدها؛ مَنعتْهُ قطعًا من أن يتعدّى حدودَ سيّده ومولاه، وأن لا يراه حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمرَهُ. فإذا شاء - سبحانه[٥] - إنفاذَ قولِه: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾[٦] على عموم الأفعال في العبد، بإيقاع زَلّةٍ مّا منه، قَبَضَ عنه ذلك المقام؛ بغفلةٍ تحصل مكانَه؛ حتى ينفذ فيه الأمر، ويجري عليه القدَر بما أراده الحكيم.

---

١ د، ش: التكليف.

٢ د، س، ع: التكليف.

٣ ش: - أو محوا.

٤ ق، س، ع، ز: "سكرٌ أو محو أو محق أو فناء".

٥ ش: الحق.

٦ [الأحزاب: ٣٨]

قيل لأبي يزيد: أيعصي العارف؟ فقال: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝٣٨﴾. ثم يُرَدُّ إلى مقامه بعد ذلك، إن كان من أهل العناية والوصول. فتكون توبتُه من ذلك على قدر مقامه؛ فيرجى أن يكون في قوّة تلك التوبة وعلوّ منصبها، أن تجبر عليه وقتَ الغفلة، حتى تكون له وكأنّه ما خسر شيئًا وما انتقل. كتوبة "ماعز" الذي قال فيها رسول الله ﷺ: «لو قسّمَت على أهل السماوات والأرض لوَسِعَتْهُم».

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات المتوجّهة عليه في رِجله؛ علامتُه: السعي في قضاء حوائج المسلمين والإخوان، والسعي على العيال، وكثرة الخُطا إلى المساجد، والنزول في الحرب، والثبوت يوم الزحف، وغير ذلك.

* * *

ومَن ادّعى مراعاة التكليفات المتوجّهة عليه في قلبه؛ علامته: الانتباه واليقظة، والفكر والهيبة، وترك الحسد والغِل، والتنغيص بالاجتماع؛ إن كان من أهل الأحوال الموقوفة على الخلوة، وإن كان في خيرٍ، ودوام الحزن على قدر مقام المحزون عليه والتوكّل، والتفويض، والتسليم، والفرح بموارد القضاء، والمراقبة، والتنزّه في العالَم، وفِعل الله فيه وفيهِم، وأشباه ذلك مما لا يحصى كثرة. وكلُّ فعلٍ حسنٍ للجوارحِ أُسُّهُ انتباهُ القلب.

وهذه الأعمال، كلّها - يا بنيّ - مبادئ الإرادة والسلوك، وليس لها زوالٌ عن شخص حتى يموت. فإن عَدِمَها السالكُ المريد في أحواله وطريقه فهو مخدوع.

وأمّا الواصلُ فلا يُتصوّر منه تَرْكٌ لها أصلًا. وإن ادّعى الوصولَ، وفارق

المعامَلات استصحابًا؛ فدعواه كاذبة، ولو فُتِح له في علم الكونين وسِرِّ العالَم؛ فمكرٌ واستدراجٌ. فلا سبيل إلى الوصول إلى نهاية صحيحة عن الشوب[1] الإبليسي، خالصةٍ عن الغرض النفسي؛ ما لم يَزُل المريد، أوّلًا، عن رعونة النفس، وكدورة البشريّة.

وعلامةُ المدّعي في الوصول؛ رجوعُه إلى رعونة النفس[2] وأغراضها. ولهذا قال أبو سليمان الداراني – من رؤساء المشائخ –: "لو وصلوا ما رجعوا، وإنّما حُرِموا الوصول لتضييعهم الأصول. فمن لم يتخلّق لم يتحقّق".

وعلامة مَن صحّ وصوله: الخروجُ عن الطبع، والأدبُ مع الشرع، واتّباعُه حيث سَلَك. والشفاء الشافي، والدواء الكافي، لهذا الداء العُضال: العلمُ بشرط التوفيق. فإذا اجتمعا؛ فلا حائل بينك وبين التحقيق. فافهم ترشد – إن شاء الله تعالى –[3].

---

[1] الشوب: الخلط.

[2] ش: – وكدورة البشريّة. وعلامةُ المدّعي في الوصول؛ رجوعُه إلى رعونة النفس.

[3] ع (في الحاشية): بلغ.

منازل هذه الأعضاء
وكراماتها لأربابها المتحقّقين بها

اعلم - يا بنيّ - أنّ كلّ مَن تحقّق بهذه الأعمال، ورسخت قَدَمُه فيها، وصحّ اتّصافه بها، فإنّ الله - سبحانه - قد أجرىٰ عادةً لأهلها، المتحقِّقين بحقائقها، أن يهبهم أسرارَ الاختصاص، التي هي حرام علىٰ غيرهم، الموقوفة علىٰ هذه الأسباب. وتسمّىٰ شواهدَ الحال الغيبيّ، والتحقيقَ الملكوتي. وهو السرُّ الخفيُّ، المرموز في قوله - تعالى - علىٰ لسان رسوله - عليه السلام -: «ولا يزال العبد يتقرّب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يبصر به.» الحديث. وأن ينزلهم - سبحانه - هذه المنازل العليّة، ويوقفهم عليها، وأن يكرِمَهم بكراماتٍ في ظاهر الكون؛ ولكن ليست عند القوم بشرطٍ لازمٍ، ووقوعٍ واجبٍ.

فلنذكر، في هذا الباب، ما يصل إليه كلُّ عضوٍ من هذه الثمانية الأعضاء من المنزلة، وما يُعطَى من الكرامة، التي ذكرناها في عالم الملكوت الروحاني كالجنّ والملائكة، والملكوت الترابي كالمتروحنين[1] من البشر.

وهذا السرُّ خفيٌّ؛ إذ هذا الرجل إذا تحقّق بهذه الأعمال، حتى بلغ بها المنازل التي أذكرها، يتروحن باطنًا، ويجري علىٰ العادة ظاهرًا، لسببٍ ذكرناه شافٍ في "مَشاهِد الأسرار القدسيّة".

ولنبدأ بترتيب[2] الأفلاك العضويّة فلكًا فلكًا حتّى نستوفيها، إن شاء الله

---

١ أي من البشر من لهم قوة التشكل في الصور.

٢ د: بذكر.

تعالى.[1]

---

١ ق: بلغ سماعا ومقابلة بقرأة ابن إسحاق على شيخه المنشئ لكتاب رضي الله عنه.

الفلك البصري[1]

يَا صَاحِبَ البَصَرِ المَحجُوب نَاظِرُهُ　　غَمِّضْ لِتُدْرِكَ مَنْ لَا شَيْءَ يُدْرِكُهُ[2]

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ إِنْ أَرْسَلْتَهُ عَبَثًا　　فَإِنَّهُ خَلْفَ سِتْرِ الكَوْنِ تَتْرُكُهُ[3]

اعلم – يا بنيّ، أَشْهَدَك اللهُ ذاتَهُ في دارِ القدس – أنّ الإنسان إذا زَكَت أحوالُه، وطابتْ أقوالُه، وحسنتْ أفعالُه، وكان هذا حالُه، حتّى قبضه الله إليه؛ فذلك الموفّق السعيد.

فإذا تحقّق العبدُ في مراعاة ما توجّه عليه من التكليف في بصره، ووقف به عند ما حَدّ له الشّارع، وصرّفه في بعض ما أباحه، وإن استطاع أن لا يصرّفه إلّا في واجبٍ أو مندوبٍ فلا يقصّر، فذلك عندنا صاحبُ بصرٍ على الحقيقة. وأنّ الله – تعالى – إذا حَصَلَ العبدُ في هذا الباب، ولم يتعدّ الحدَّ المشروع له في بصره؛ إذا شاء يكرمه بكراماتٍ تختصّ بهذا المقام، ويُنزله أيضا منازلَ مختصّةً به[4]، لا ينالها أبدًا إلّا صاحبُ بصرٍ؛ مِنّةً منه – سبحانه –؛ فالمنازلُ، قطعًا، لا تحصل إلّا لأهل الوصول، المحقّقين، أهل العناية.

وأمّا الكرامات؛ فمن حيث هي كراماتٌ؛ هي لهم، ومن حيث هي خرقُ عوائد؛ قد ينالها الممكور به المستدرَج. فإذا وقعتْ لك – يا بنيّ – خرقُ عادةٍ، فلا تحجبك عن نظرك في نفسك: كيف هي مع الحدِّ المشروع لك؟

فإن كنتَ من أهل الاتّباع، وقام الوزنُ بين نفسك وما كُلِّفت، وجريت

---

[1] العنوان في ع، ز: "الفلك العيني" وفي س: "الفلك العيني البصري".

[2] ش: يشبهه.

[3] س، ز، ب: يتركه.

[4] ش: – به.

مع الشارع بالأدب والامتثال حيث سلَكَ؛ فخذها كرامةً، واشكر اللهَ عليها، وادْعُه، واسأله أن لا يجعلها حَظَّ عملك، وأن لا تكون من العاملين لها.

وإن رأيتَ نفسَك حائدةً عن السنن، متعدّيةً للحدود الظاهرة في الشرع؛ فلا تنظرها كرامةً في حقّك؛ وانظرها منبِّهةً لك إن لَزِمْتَ بعدها الاستقامةَ. كإبراهيم بن أدهم حين نودي من قربوس سرجه، وهو غير مستقيم في الحال، ثمّ استقام؛ فكانت له منبِّهة. وكصاحب السُّكرُجَتين[1] وغيرهما. وإن لم تعقبها الاستقامة؛ فانظرها مكرًا واستدراجًا؛ فاسألِ[2] الإقالةَ، والرجوع إلى الجادة والصراط المستقيم.

فإن نبّهك الله لهذا النظر؛ فهذه الكرامة، التي يقال لها كرامة. وكلُّ خرقِ عادةٍ في ظاهر الكون؛ فأعراض زائلة[3].

الكرامات

فمنها رؤية الزائرَ له، قبل قدومه، على مسافةٍ بعيدةٍ، أو خلف حجابٍ كثيفٍ. ورؤية[4] الكعبة عند الصلاة حتّى يتوجّه إليها، وما أشبه هذا. ومنها مشاهدة[5] العالَم الملكوتي الروحاني، والترابي.

والمراد بهذه الكرامات للعبد؛ أن يُشْهِدَه اللهُ من عجائبه، ويُرِيَه من آياته ما يزيده رغبةً في مقامه، وقوّةً فيما هو بسبيله. كما قال – تعالى –: ﴿سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ

---

[1] كتب في س تحت السطر صاحب السكرجتين هو: "ذو النون المصري."

[2] ز، ع (مضافة): + الله.

[3] ز (في الحاشية): بلغ، بلغه الله كرامات أوليائه وأكرمه بها، في الثامن، والحمد لله.

[4] س، ع، ز: ورؤيته.

[5] ق، ش، ب: مشاهدته.

لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴿١﴾﴾[1] فذكر العِلّة. فإنّه إذا صحّ وِرْثُ النبيّ الصادق ﷺ في أفعاله بحسن الاتّباع والاقتداء؛ ليس ببعيدٍ أن يُتْحِفَ اللهُ عبدَه الوليَّ بمثل هذه الكرامات التي كانت لنبيّه ﷺ. بل هي من تميم شرفه؛ كرامة مَن اتّبعه وأحبّه.

وأمّا قولنا: العالَم الملكوتي الروحاني والترابي؛ فالروحاني الملكوتي: كالملائكة. والروحاني الجبروتي: كالجنّ، عند بعض أصحابنا. والروحاني الطيني أو الترابي: كالأبدال. فيشاهِدُ[2] الملائكةَ والملأَ الأعلى الذين قال الله فيهم: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3]، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴿٧٥﴾﴾[4]، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[5]، ﴿يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿٧﴾﴾[6]، و ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴿٥﴾﴾[7]. فما ظنّك - يا بنيّ - بحالة شخصٍ جليسٍ لهؤلاء السادات الأعلام، المعصومين من فترات الغفلات؟! هل يكون أبدًا إلّا ذاكِرًا، ناظرًا نفسَه بعين التقصير، فيما يأتي به من فنون الطاعات؛ لما يعاينه من علوّ المقام، ويشاهدهُ من الجلال؛ فجليسُ المفلِحِ يفلِح[8] ضرورةً.

وأمّا الروحانيّ الترابي، فأعني به كلَّ عبدٍ اتّصفَ بأوصاف الملائكة؛ من الحضور مع الحقّ - تعالى - في ميدان الجدّ والاجتهاد، والاتّصاف بأوصاف الكمال؛ كالخضر، وما أشبهه من الأبدال والأوتاد.

ألا ترى أنّ[9] الخوّاص(1)، حين اجتمع مع الخضر، كيف جعل اجتماعَه به كرامةً، وقال له: "بماذا رأيتُك؟" فقال له الخضر: "ببرِّك بِأُمِّك". فلو لم تكن

---

[1] [الإسراء: ١]

[2] ق: فشاهد.

[3] [الأنبياء: ٢٠]

[4] [الزمر: ٧٥]

[5] [السجدة: ١٥]

[6] [غافر: ٧]

[7] [الشورى: ٥]

[8] د، س، ع، ز: مفلح.

[9] ع: إلى، س، ب: - أن.

رؤية هذا الصنف كرامةً؛ ما سأله الخوّاص. فبمثل هؤلاء السادات النجباء، وبصحبتهم؛ فليفَرح، وليتحقّق أنّ ذلك من اعتناء الله - سبحانه -؛ حيث جمعه بأهل خاصّته، وحبّبهم إليه.

فأولئك هم الذين انتقلوا عن معادنهم الطينيّة، وخرجوا عن رعونة البشريّة، وطبختهم شمسُ العنَاية، بأرضهم الطيّبة المباركة، المعتدلة المزاج، اللطيفة الأمشاج، حتّى أخرجتهم من مراكزهم، وألحقتهم بالعالم الأعلى. فانخرقتِ[1] العوائدُ في الأجسام، وضُرِب بِسورِ القدرة القديمة في وجه الطبيعة الذميمة؛ لَمّا تلطّفت الجوهرة، وصفتْ، طلبت العلوَّ فهفَتْ، مع تعلّقها بتدبير الجسم الذي كُلِّفَتْ، سلّطتْ عليه القوّة القهريّة متى شاءت؛ فحجبتْه عن أعين الناظرين، ولحق بالعالمِ الأعلى في صفاتهم؛ كما تطبخ الشمسُ الذهبَ في معدنه الطيّب، حتى تبرزه على وجه الأرض، بخلاف غيره من المعادن النازلة عن هذه الدرجة؛ لَمّا صفتْ جوهرته، ولَطُفَ معناه.

فكما يؤخذ بعد خروجه عن الأرض وطلبِه الهواءَ؛ ويشحَّر[2]، حتى يزول[3] منه بقيّة التغيير والامتزاج بالطين. كذلك هذا العبد، إذا خرج عن أرضِه كما ذكرناه، والتحق بهؤلاء السادات، أعني الملائكة، اكتسبَ منهم صفةً لم يكن عليها، حَكَمَ[4] فيها الغائبُ على الشاهد؛ فخرج عن العادة البشريّة بالتصفية اللطيفة الملكوتيّة والتشحير[5] الذي حصل له من تلك المشاهدات، حتى خفي

---

[1] س، ع، ز: وانخرقت.

[2] شحَّر: صفى، نقّى، وأزال بالنار من الذهب والفضة وغيرها من المعادن ما فيها من مواد غليظة غريبة. ع: ويسحر، د، ب: وشجر، ويسخر.

[3] ش رسمها: نزول. س: تزول.

[4] د: حُكِمَ.

[5] ع: والتسجير، ب: والتسبيح، ز: والتسخير.

عن الأبصار، وهذه كرامةٌ أصلُ وجودها ما ذكرناه.

وسببُ الاحتجابِ مانعٌ يقوم بإدراك الرائي؛ حتى يهتف بك وأنت لا تراه. ويمشي[1] على الماء، وفي الهواء، ويصير[2] كالهيولي قابلًا للتشكيل والصور كالعالَم الروحاني. مثل جبريل الذي كان ينزل تارةً على صورة دحية. وقد تجلّى له ﷺ وهو قد سَدّ الأُفق، له ستمائة جناح.

وتشكُّل الروحانيّين غيرُ منكور[3] عندنا. وهكذا رجع الخضر يتشكّل على أيّ صورة أحبَّ أن يُرىٰ فيها، وهي على قدر مقامك. فالملكة التي أُعطي، إنّما هو فِعْلٌ يشخِّصُه لك في ذاتك، وهو على صورته التي خلقه الله عليها.

ويَغلطُ في هذا المقام جماعةٌ من المتطفّلين على الطريقة. فكلُّ ما أتاك - يا بنيّ - من هذا المقام، فهو عائدٌ عليك. والمانع فيك. غير أنّ لهم عليك سلطانًا، وعلى جميع الموجودات، ليس لغيرهم.

واعلم - يا بنيّ - أنّ أصلَ النفوسِ واحدٌ. فإذا رُكِّبَتْ في الجسوم، على اختلاف أمزجتها؛ صارت من طبع المزاج للمجاورة، حتى تُضْرِمَ عليها نارَ المجاهدة، وتلقيها في أبواط الرياضة. فإن كانت تلك الأرضُ معتدلةَ المزاج، أعني قريبةَ الاعتدال، تخلّصتْ في الحال، والتحقتْ بعالمها، ولم يحجبها تدبيرُها لذلك الجسم. وإن بَعُدَ الاعتدال؛ كَثُرَ التعب في التخليص والمشقّة، وطالت الشُّقّة. وهذا، أيضًا، راجعٌ للعارف بالتخليص: فواصِلٌ، ومقارِبٌ، ومدلِّسٌ.

فالمدلِّس (هو) المدّعي، والواصلُ (هو) صاحبُ الحقيقة، والمقاربُ (هو) المجتهد الذي قد لاحتْ له بارقةٌ من مطلوبه؛ عرفها فسكن[4] إليها.

---

[1] ع: وتمشي، وحرف التاء مهمل في ز، والكلمة غير واضحة في ق.

[2] ق: وتصير، ع: حرف التاء مهمل.

[3] د، ق (في الحاشية): منكر.

[4] في سائر النسخ ما عدا د: وسكن.

فالرجال الأنجاد - رضي الله عنهم - ما اشتغلوا بتدبير جسومهم من حيث الشهوات، وإنّما اشتغلوا بنفوسهم، أن يخلّصوها من رعونة الطبع؛ حتّى يلحقوها بعالمها. ألا ترىٰ سهلًا التستري، وهو من رؤساء الطريق وساداتِه، لمّا قيل له: "ما القوت؟" فقال - رضي الله عنه -: "ذِكْرُ الحيّ الذي لا يموت". قيل له: "هذا قوتُ الأرواح، فما قوتُ الأشباح؟" فقال: "دع الديار إلى بانيها؛ إن شاء عمَّرَها، وإن شاء خرّبها". فما أَحرمَ عبدًا لم يوفّقه الله لتخليص جوهرته! نعوذ بالله من الحرمان.[1]

مَنازِلُ هذا العضو

اعلم - يا بنيّ - أنّ الإنسان ينتقل من مجالسة العالَم الملكوتي الخارج عنه، إلى رؤية عالم ملكوته الخاص به، الذي هو غيبه أو باطنه. وهذه الرؤية عبارةٌ عن فتح عين بصيرته إلى مشاهدة ما أوقر اللهُ فيه من الأسرار، ورتّبَ فيه من الحِكَم، وأودعه من الفوائد.

وهذه الحضرةُ عليها بابٌ مقفَلٌ، وعلىٰ كلّ سِرٍّ فيها كِنٌّ يحجبه، وعلىٰ عين البصيرة غطاءٌ في حقِّ مَن فُتحتْ له عينا، وصَدًىٰ[2] في حقّ من فُتِحت له مرآةً، علىٰ حسب ما نذكره.

فإذا زال الغطاءُ أو الصدأُ، وانحلّ القفلُ، وانهدم الكِنُّ، وطلعتْ شمسُ الحقيقة علىٰ مرتبةٍ مّا من مراتبها علىٰ تفاصيلها؛ فاجتمع نورُ تلك الشمس مع نورِ العينِ أو صقـالةِ المرآة؛ نتجتْ بينهما: رؤيا، وإدراكٌ، وانطباعٌ. وجاءت العناية العمليّة؛ فأزالت القُفلَ عن باب الحضرة الإلهيّة. فدخل الحكيمُ؛ فوجد الأسرارَ

---

[1] د: ع (في الحاشية): بلغ

[2] صَدًىٰ أي صدأ. رسمها في ق، ع، س، ز: صدىٰ، ولم ترد في ب.

قد خرجتْ من أَكِنَّتِها، والأنوار قد تقشّعتْ عنها سحابها[١]، وبرزتْ مستبشرةً بقدوم الحكيم عليها؛ فلا يزال يلتذّ بها على قدر كشفِه ونظرِه.

وذلك أنّ البصر إذا انسدّ[٢]؛ بالسدِّ عن المحرَّمات، والوقوف عند الحدود؛ انفتح باطنُ إدراكه إلى خزانة الخيال الصحيح الذي[٣] خلّصَتْهُ القوّة المفكرة؛ فَصُفّيتْ[٤] مرآةُ تلك الخزانة، أو كُحِّل عينها وجُلِيَتْ، وفتحت لها طاقات لخزانة المعاني السراريّة الراسخة في القلب، المحجوبة بالريون المحمودة؛ فتُرفع هذه الحجب - وهي عبارةٌ عن فتح الخزائن - فتبرز المعاني الإلهيّة، والأسرارُ العُلويّة؛ فتتجلى[٥] في مرآة الخيال. فيراها باطنُ إدراك البصر، وهو المعبَّر عنه بعين البصيرة، فيكشف[٦] ما في غيابات الوجود. وفي هذا المقام يتّفق للمتَرَسِّمِ به؛ الكلامُ على الخواطر، والفراسة الرئيسية.

كيفيّة

فأمّا كيفيّة حصولِ خواطرِ الأغيار في نفس الحكيم الإلهيّ، صاحبِ هذا المقام، فإنّ عينَ القلب إذا ارتفعتْ عنه الحجب التي[٧] ذكرناها، وانكشفَ الغطاءُ؛ أدركتْ بِحِسِّها كلَّ قلبٍ يكون مقابلًا لها.

ولتعلم أنّ كلَّ قلبٍ كتابٌ مسطورٌ بكلّ ما فيه من الخواطرِ والعلوم. وله طبقاتٌ نظيرُ أوراق المصحف. وكلُّ ذي قلبٍ لا يخلو من قراءةِ مصحفه أو كتابِهِ ساعةً: إمّا مارًّا عليه، أو متردِّدًا. أعني لا بُدّ أن يكون متردِّدًا في خاطرٍ واحد،

---

١ د، س: سحبها. غير واضحة في ق.

٢ في سائر النسخ ما عدا د: استدّ.

٣ ق، ب، ش: التي.

٤ ع، ز: فصفت.

٥ ع، ب، ش: فتنجلي، والحروف الثلاثة الأولى مهملة في ق.

٦ ق، ب: فتكشف.

٧ د: الذي.

أو[1] تمرُّ عليه خواطرُ شتّى.

فيتطلّع الحكيمُ المكاشفُ إلى مصحف[2] الداخل أو كتّابه، وينظر في أيّ صَفْحٍ[3] هو، وفي أيّ سورة هو، وفي أيّ آية هو منها، وذلك (الآخَر المقابِلُ) لا يشعر؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ.

فإن شاء الحكيم، بعد تحصيله لما في نفسِه؛ أَظْهَرَ، وإن شاء ستر؛ على حسب الوقت، وما يعطيه من المنفعة والمصلحة. فعلى هذا الحدّ هو كشفُ بعضِ العارفين غيوبَ العالَم.[4]

كيفيّة أخرى

وبعضهم يرتقم في مرآة قلبه، انطباعًا، الذي في نفس الغير، على وجه المقابلة لصفائها. وذلك أن يكون منزَّهًا عن الخواطر العرَضيّة[5]، عارفًا بخواطر المقامات، محقِّقًا لموارد خواطر مقامه. فإذا وَجَد مَن هذه صفتُه خاطرًا لا يقتضيه مقامه، يعلم على القطع، أنّه خاطرُ بعض الحاضرين. وهنا فرقٌ بين مقامين:

١. قد يَعرف الخاطرَ ولا يَعرف لمن خطر. فيتكلّم هذا الموصوف، في ميعاده، على ما وَجَدَ في نفسه؛ فيعرفه مَن قام به؛ فيجد شفاءه.
٢. ورجلٌ آخر عندما يقوم به ذلك، يَعرف صاحبَ ذلك الخاطر، حتّى يواجهَه بالكلام دون غيره.

وأصلُ معرفتِه؛ أنّ بين القلوب مناسبةً في الأصل. فإذا خطر الخاطر في

---

[1] ق: و.
[2] ع، ز: مصحفه.
[3] الصفح: الجنب، صفحا الشيء: جانباه. وهي في ب، ز: صفحة.
[4] ز (في الحاشية): بلغ، في التاسع، نور الله قلبه بنوره...
[5] ش، ب، ز: الغرضية.

قلب الوارد أو المريد؛ فإن كان قبيحًا؛ انبعثَ من القلب دخانٌ تجيءُ منه سحابةٌ على قلب الشيخ. فإذا قابل الشيخَ بوجهه، مَن قام به ذلك الخاطرُ؛ تكاثَفَ ذلك الدخانُ. وإذا خرج عن مواجهته؛ مَرَّ عليه متقطّعًا؛ فيعرفُ ذلك الشخصَ. وإن كان (الخاطر) حسنًا؛ كان بدلَ الدخان بخارٌ لطيفٌ طيّبُ الرائحة، يجد طِيبَها في أنفه، والحال كالحال. هذا إذا كان صاحب الخاطر حاضرًا.

فإن كان غائبًا؛ كعارفٍ[1] قاعدٍ بالجامع[2] مثلًا، فخطر بأهلِ دارِه شهوةُ اللحم، فيجد ذلك في نفسه، وهو طاهرُ المحلّ عن الشهوة. ثمّ يجد في نفسه أنّه لا يحمل ذلك الشيء إلّا لمنزله. فإن تمنّاه شخصٌ مجهولٌ في حقّ العارف، وأراد الله أن يكون قضاءُ ذلك الأمر على يديه؛ فإنّه يشتري تلك الشهوة. وهنا يتّفق أمران:

١. الواحد: قد يُمَثَّل له مِثال دار ذلك الشخص حتّى يعرفه. أو يمثَّل له الشخصُ إن كان يعرف منزله.
٢. وإن لم يكن من هذا الصنف؛ فإنّه ينصرف حيث حمله الله – تعالى -: لا يقصد طريقا معيّنًا[3]، وخاطره متحرِّك أبدًا. فإذا قابَل صاحبَ ذلك الخاطر، أو دارَه؛ كان حالُه معه كحاله مع الحاضر[4] المتقدِّم؛ فيدفعه له، وينصرف.

كيفيّة كثيفة

وهذه من لطائفِ المكاشفات. وأكثفُ من ذلك، هو أن يخطر لك خاطرٌ، فتجيء المكاشف[5] ويجده مرقومًا في ثوبك: النهي عنه أو الأمر به. كما اتّفق للشيخ أبي مدين حين خطر له أن يطلّق امرأتَه، فرأى أبو العبّاس الخشّاب مخطوطًا في

---

١ د: كعابد.

٢ ع، ز: في الجامع.

٣ ش: – معينا.

٤ ب، ز: كحالة الخاطر.

٥ ق: عبارة غير واضحة تماما. س: فتجيء المكاشف.

ثوب الشيخ أبي مدين: "أمسِك عليك زوجَك[١]".

واتّفق لي ألطف من هذا. وذلك أنّي كنت مشغولًا بتأليف كتابٍ إلقائيٍّ. فقيل لي: "اكتب: هذا باب يَدِقُّ وصفُه، ويُمنع كشفُه". ثمّ لم أعرف ما أكتب بعدُ. وبقيت أنتظر الإلقاءَ؛ حتى انحرفَ مزاجي، وكدتُ أهلك. فنُصِب أمامي لوحٌ نوريٌّ، وفيه أسطارٌ خضرٌ نوريّة، فيها مكتوب: "هذا باب يَدِقُّ وصفه، ويُمنع كشفُه" والكلام على الباب. فقيّدتُه إلى آخره، ثمّ رُفِع عنّي.

كيفيّة فعليّة

وذلك أن يزني الرجل أو يسرق، أو يشتم، أو يعمل فعلًا حرامًا. فيدخل على المكاشف، فيرى ذلك بالعضو، الذي يكون منه العمل، تخطيطًا أسود؛ لا يرى غير ذلك. وكان هذا المقامُ، غالبًا على حال أبي يعزى – رضوان الله عليه – . وهذه المكاشفة موقوفة على المتحقّقين في مقام الورع.

وثَمَّ لمعرفة الخواطر والفراسة مقامٌ غير هذا يحرم كشفُه. فمن ذاقه يلتذّ به. وهو أسنى المقامات، لا يناله إلّا أهل العناية من الرجال؛ مِثل نبيٍّ أو بعض الصدّيقين. وهو الكشف الملكي.

وألطف منه الكشف اللّوحي. وألطف منه الكشف القلمي. وألطف منه الكشف النوني[٢]. وألطف منه الكشف اليميني. وبعده[٣] الكشف الإرادي. وألطف منه الكشف العِلمي. وألطف منه الكشف الذاتي.[٤]

منزل الحركات والسكنات

وأمّا الفِراسةُ فنوعان: رئيسيّة، ودون ذلك. فأمّا الدنيّة فنوعان:

---

١ د: زوجتك.

٢ ش: – وألطف منه الكشف النوني.

٣ س، ع، ز، ب: وألطف منه.

٤ ع (في الحاشية): بلغ.

١. النوع الواحد: ما تقدّم.
٢. والنوع الثاني: موقوف على العارفين بالمزاج ونتائجه. وهذا يعرفه الحكماء من الفلاسفة، ولا حاجة لنا هنا به.

وأمّا الرئيسيّة فسببها حُكْمٌ غير هذا كلّه، وبها يَقطع بخاتمة المتفرّس[١] فيه قطعًا، ويَعلمه علمًا. وذلك بأن يمشي الحكيمِ المتخلّق المتحقّق، الواصلُ إلى عين الوجودِ والحقيقة، على منازل نفسه وحالاتها؛ منزلًا منزلًا، وحالًا حالًا، على الترتيب الحِكميّ الإلهيّ في النفوس على الإطلاق، مرتبةً بعد أخرى، على التتالي والتتابع. ولا يصحّ له[٢] المشيُ فيها إلّا كذلك؛ حتى يعرف المنازلَ كلّها من طريق المقامات. ثمّ ينظر نفسَه فلا يجد منزلًا ولا حالًا، إلّا وله حُكْمٌ وتأثيرٌ على ظاهره؛ من حركةٍ أو سكونٍ. وهي منازل مختلفة، تنتهي إلى غايات مختلفات.

فإذا تحقّق بهذه المرتبة، وعرف تأثيرات المنازل وحالاته؛ صحّتْ له الرئاسة المكمّلة.

فصاحبُ هذا المقام إذا رأى شخصًا في الوجود، فلا بدّ أن يكون ساكنًا أو متحرّكًا[٣]، بأيّ نوع كان من الحركات: من لسانٍ، أو يدٍ، أو غير ذلك. فيعرفُ مِن ذلك منزلة ذلك[٤] الشخص، ويعرف تلك المنزلة؛ أين مآلها في الوجود؛ فيقطع على ذلك الشخصِ بها؛ فيكون[٥] كما قال.

وقد اتّفق لشيخ الشيوخ، أبي مدين - رضي الله عنه - هذا في حقّ شخصٍ تحرّك في مجلسه. فأمر بإخراجه، وقال: سَترى ما يكون من حاله بعد كذا سنة. فاستفصله بعض الحاضرين عن الأمر. فقال رضي الله عنه: "إنّه يدّعي

---

[١] ق، س، ب: المفترس.
[٢] ش: - له.
[٣] في سائر النسخ ما عدا د: متحركا أو ساكنًا.
[٤] ق: - ذلك.
[٥] س، ب: فتكون.

الهداية". فكان كما قاله الشيخ بعد عشرين سنة.

وهذه العلوم كلّها من عين اليقين، وحقّ اليقين. وهي من العلوم الإلهاميّة واللدنّيّة، والزيادة[1] على حسب الفتح. وبين مقامات هذه العلوم؛ فُرقان بيِّن.

منزلٌ عالٍ

ثمّ قد يرتقي من هذه المنازل، إلى أن تحصل له رؤيةُ الحقّ من جهة صفات الكمال؛ فإنّ كلّ رؤية تقدّمت إنّما هي من حضرة الأفعال.

فلا يزال يرتقي في أطوار المشاهدة[2] الانفعاليّة، إلى مشاهدة صفات الكمال البسائط، ثمّ إلى مشاهدة صفات الجلال، التي للسلب؛ وهي المشاهدة الذاتيّة هنا، المشار إليها في قوله ﷺ: «إنّ في الجنّة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». وجَنّتُنا في هذه الدار (هي) ما وصَلَ إليها؛ وهي الطاعة، فما ينتج دخول الجنّة هناك نتيجة الطاعة[3] هنا، لمن اختصّه الله بها.

واعلم أنّ العلم المتعلّق بالذات، إنّما يناله كلُّ مَن نال منه شيئًا، من جهة السلب لا من جهة الإثبات. مثل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۝١١﴾[4] و﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠﴾[5] وهذا مقام الحيرة والعجز، وفيه قال الصّدّيق: "العجز عن درك الإدراك إدراك". وقال الصادق ﷺ: «لا أُحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيتَ على نفسك». جعلنا الله ممن استمرّت حالاته[6] على الاستقامة؛ فإنّها أكبر كرامة.[7]

---

[1] ق، د، ش، ب: والزيادية.

[2] في سائر النسخ ما عدا د: المشاهدات.

[3] د، س، ع، ز: الطاعات.

[4] [الشورى: ١١]

[5] [الصافات: ١٨٠]

[6] ش: أحواله.

[7] ق (في الحاشية): بلغ سماعا ومقابلة

بقراءة ابن إسحق على شيخه المنشئ للكتّاب رضي الله عنه. ز

(في الحاشية): بلغ، في العاشر، أكرمه الله بدوام الاستقامة...

الفلك[1] السمعي

يَا صَاحِبَ الأُذْنِ إِنَّ الإِذْنَ فَعِ[2] الخِطَاب إِذِا[3] الرَّحْمَن نَاجَاكَا
فَإِنْ وَعَيْتَ الَّذِي يُلْقِيهِ مِنْ حِكَمٍ عَلَيْكَ، كَانَتْ لَكَ الأَسْرَارُ أَفْلاَكَا
وإِنْ تَصَامَمْتَ عَنْ إِدْرَاكِ مَا لَدَيْكَ، كَانَتْ لَكَ الأَكْوانُ أَشْرَاكَا

اعلمْ – يا بنيّ، وفّقك الله – أنّ السمع لا يصحّ إلّا مع الحضور، أعني حضورَ القلب. قال – تعالى –: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾.[4]

فحقيقةُ السمع؛ الفَهْمُ عن الله فيما يتلوه عليك – سبحانه –. ولا تظنّ – يا بنيّ – أنّ تلاوةَ الحقِّ عليك وعلى أبناء جنسك من هذا القرآن العزيز[5] خاصّة. ليس هذا حظّ الصوفي، بل الوجود بأسره "كِتَابٌ مَسْطُورٌ. فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ" تلاه عليك – سبحانه – لتعقِل عنه إن كنت عالمًا. قال – تعالى –: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾.[6]

ولا تُحجب عن ملاحظة المختصَر الشريف من هذا الكتاب المسطور، الذي هو عبارةٌ عنك. فإنّ الحقّ – تعالى – تارةً يتلو عليك من الكتاب الكبير الخارج، وتارة يتلو عليك من نفسك. فاسمَع وتأهّب لخطاب مولاك إليك، في أيّ مقام كنتَ، و تحفّظ من الوَقْرِ والصمم.

---

[1] س، ع: + الأذني.
[2] فعِ الخِطابَ: أمرٌ بوعي الخِطاب.
[3] د، ش، س، ب: إذ.
[4] [ق: ٣٧]
[5] ق: – العزيز. ب: العظيم.
[6] [العنكبوت: ٤٣]

فالصممُ آفةٌ تمنعك من إدراك تلاوته عليك من الكتاب الكبير المعبَّر عنه بالفُرقان. والوَقْرُ آفةٌ تمنعك من إدراك[1] تلاوته عليك من نفسك المختصرة. وهو الكتاب المعبَّر عنه بالقرآن، إذِ الإنسان محلُّ الجمع لما تفرَّق في العالم الكبير. ومعنى التلاوة أذكرها في عضو اللسان بعد هذا - إن شاء الله تعالى -.

فصلٌ: (علامةُ السامعين المتحقّقين في سماعهم)

وعلامة[2] السامعين المتحقّقين في سماعهم؛ انقيادُهم إلى كلّ عملٍ مقرِّبٍ لله - تعالى - من جهة سماعه، أعني من التكليفات المتوجّهة على الأُذن، من أمرٍ ونهيٍ، كسماعه العلم[3] والذكر والثناء على الحقّ - تعالى - والموعظة الحسنة، والقول الحسن.

ومن علاماته[4]، أيضًا، التصام عن سماع[5] الغيبة، والبهتان، والسوء من القول، والخوض في آيات الله، والرفث، والجدال، وسماع القيان، وكلّ محرَّم حجر الشارعُ عليك سماعه.

وقد وصف الله - تعالى - مَن هذه أوصافه في كتابه العزيز في معرض الثناء عليهم، لنقتديَ بهم، ونعرف أنّا إذا سلكنا مسلكهم كان لنا نصيبٌ من ذلك الثناء الذي صحّ لهم من الحقّ - جلّ اسمه -. قال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾[6]. لمّا يئسوا من رشادهم وفلاحهم؛ سلّموا الأمرَ إليه، واشتغلوا بما يُزلفهم لديه؛ فأَعْرَضوا شرعًا، وسلّموا حقيقةً. وقال - تعالى -: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ﴿٨٣﴾﴾

---

[1] ع، ب: - إدراك.

[2] ق، ش، ب: وعلامات.

[3] ش، س، ع، ز، ب: للعلم.

[4] ش، س، ع، ب، ز: علامته.

[5] س، ع: - سماع.

[6] [القصص: ٥٥]

الآيات إلى قوله: ﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾.[١]

فانظر كيف جعل - تعالى - السامعين من الكتّاب الخارجِ عنك، ممّن حالُه البكاء، لمعرفتهم بما سمعوا. ومقامهم الإيمان، ومآلهم الجِنان مع المحسنين من عباده. وقال - تعالى -: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾[٢] فأثنى عليهم لمّا سمعوا داعيه بالإجابة التي[٣] أمرهم بها سبحانه في قوله - تعالى -: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ﴿٣١﴾﴾.[٤]

وكرامةُ هؤلاء عنده - سبحانه -؛ إجابَتُه لهم إذا دَعَوْه، لارتباط الحكمة في المناسبة؛ فلا يُجاب إلّا من يجيب. ألا تراه - سبحانه - كيف قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴿١٨٦﴾﴾[٥]. فإذا صحّتْ منهم الإجابة لِمَا دعاهم إليه، وهو[٦] حقيقةُ السماع، صحّ لهم إجابَتُه[٧] إذا دَعَوْه، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾[٨]. وقال - تعالى -: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ﴿١٤٠﴾﴾[٩].

فانظر قولَه - تعالى -: ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ﴾. فمَن لم يَحْضُر عند الكلام بسمعه، لم يعرف: هل كُفِرَ بها؟ أو لم يُكفَر؟ ولا يُصدَّق في دعواه أنّه سَمِع؛ فإنّه ما يُغنيه سماعُ الأذن من الله شيئًا. ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا

---

[١] [المائدة: ٨٣ - ٨٥].

[٢] [الأنعام: ٣٦]

[٣] ش، س، ز: الذي.

[٤] [الأحقاف: ٣١]

[٥] [البقرة: ١٨٦]

[٦] ق، ش: فهو.

[٧] د: إجابتهم.

[٨] [البقرة: ١٠٥]

[٩] [النساء: ١٤٠]

يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾[١] وقال – تعالى –: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ ﴿١٤﴾﴾[٢] وقال – تعالى –: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾[٣]؛ فلا يَعقِل إلّا مَن سمع، ولا يسمع إلّا مَن حضر.

فلمّا أخبر – سبحانه[٤] – أنّ الذين يخوضون في آيات الله، إذا قَعَد معهم سامعٌ لهم، أنّه في مقامهم، وأنّه يجازى من حيث هم للاشتراك، ولا يرضى بهذه المنزلة إلّا منافقٌ. ولهذا قال في نفس هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾﴾[٥] فالكافرُ (هو) الخائضُ، والمنافقُ (هو) الجليسُ له المستمعُ لخوضه.

كذلك مَن جالس الصدّيقين والعارفين، في محالهم[٦] المطهّرة وأنديتهم المقدّسة، فإنّه شريك لهم في كلّ خيرٍ ينالونه من الله – تعالى –، وقد قال – عليه السلام – فيهم إنّ «هم القوم الذين[٧] لا يشقى[٨] جليسهم».

فالمرء مع مَن جالَس؛ لأنّ[٩] المجالسة والاستماع نتيجتان[١٠] عن المحبّة. وقال – عليه السلام –: «المرءُ مع مَن أَحَبّ» وهنا سِرٌّ صوفيٌّ؛ يريد ﷺ في الدنيا والآخرة: في الدنيا بالطاعة والأدب الشرعيّ، وفي الآخرة بالمعاينة والقُرب المشهديّ. فمن لم يتحقّق بما سمع، وادّعى أنّه عقِل؛ فدعواه كاذبة.

ولهذا السماع المبارك كراماتٌ ومنازلُ كما تقدّم للبصر.

---

[١] [الأنفال: ٢١]

[٢] [فاطر: ١٤]

[٣] [البقرة: ١٧١]

[٤] د: تعالى.

[٥] [النساء: ١٤٠]

[٦] ق، ش، ع، ز، ب: مجالسهم.

[٧] ق: – الذي. د، ز، ع: الذي.

[٨] ش: + بهم.

[٩] ش: أن.

[١٠] ب، ز: ينتجان

الكرامات

ومن كراماته؛ إثباتُ البشرىٰ له بأنّه من أهل الهداية والعقل عن الله، وهي الكرامة الكبرىٰ. فإنّه كما سَمِع فأجاب؛ أُسْمِع أيضًا إجابةَ الحقِّ له بالبشرىٰ؛ وهي نفس الإجابة[1] التي هو عليها. فسماعه هو عين البشرىٰ له بأنّه من المهتدين، فتفطّنْ لهذا المعنى فإنّه حسن. قال - تعالى -: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾[2] وقال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿٦٤﴾﴾[3]. والإيمان لا يكون إلّا بعد سماع الخبر وعقلِه.

وقال - عليه السلام -: «مَن خُلِق للنعيم فسييسَّر لليسرىٰ». وقال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾[4] ولا يكون هذا كلّه إلّا بعد السماع والعقلِ.

* * *

ومنها سماعه نُطْقَ الجمادات، علىٰ مراتب نطقها في العوائد، وخرقِها. وخَرقُ العوائد[5] فيها علىٰ قسمين: قسمٌ راجع إليك، وقسمٌ راجع إليها.

١. فالراجعُ إليك: فهمُك لحقائقها.[6]
٢. والذي يرجع إليها: نُطْقُها في نفسها علىٰ طريق الإعجاز والكرامة[7].

وكيفما كانت، فالفائدة بذلك؛ التحريضُ علىٰ الطاعة، والدوامُ علىٰ الاستقامة، لترقّى الهمم إلى المنازل العليّة. وهذا حدّ الميراث النبويّ من تسبيح

---

[1] في سائر النسخ ما عدا ش: حالاته.
[2] [الزمر: ١٧ ١٨]
[3] [يونس: ٦٣ ٦٤]
[4] [الليل: ٥ ٧] س، ب: - الآيتان.
[5] د، س، ع، ب، ز: العادة.
[6] ش، س، ب: بحقائقها.
[7] س، ع: أو الكرامة.

الحصىٰ في كفّ النبيّ ﷺ، ومَن شاء اللهُ من الصحابة، وحنين الجذع، وسلام الحَجَر عليه، وكتف الشاة المسمومة. قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴿٤٤﴾﴾[1].

فإذا تحقق به؛ تطرأ عليه حالةٌ لا يشاهِد فيها شيئًا من الموجودات إلّا مسبِّحًا بلسانٍ ناطقٍ؛ كنُطق زيد وعمرو، يفهمه صاحبُ الحال المشاهِد له، لا بالحال كما يراه بعض المنكرين الذين لم يذوقوا من الطريق إلّا رَسْمَه. فإن سمعتَ نُطقَها، وهي غير ناطقة في نفسها، فتلك قوّةُ خيالٍ وهميٍّ عندك؛ تخيّلتَ أنّ الأمرَ خارجٌ عنك وهو فيك. وإلى هذا المقام يشير المنكِرون الذين ذكرناهم، وهذه حالةُ أكثرِ المريدين في زماننا هذا، لكنّهم لا يشعرون بذلك، وقد شاهدنا هذا من أنفسنا في بدايتنا، لله الحمد على ذلك.

* * *

ومنها: أن يكونَ صاحِبُ هذا المقام مُحَدَّثًا، ولا يرىٰ من يحادثه من جهة هذه الحضرة. فإن رآه؛ فمن جهة حضرةِ تحقُّقِه بالبصر. فيُلحقُك السماعُ بدرجة المحدَّثين، ويهتفُ بك، وتسمع الخطاب: إمّا بديهيًّا، وإمّا جوابًا عن سؤالٍ منك، وردَّ السلام عليك. وقد شاهدنا هذه الأمور كلّها. وأخبرني غيرُ واحدٍ عن أبي العبّاس الخشاب - رضي الله عنه - أنّه كان محدَّثًا، شُهِر هذا عنه.

ومن هذا الباب سَماعُ "ساريةَ" صوتَ عُمر من المدينة، وبينهما أيّام كثيرة.

وكلُّ[2] كرامة يكون فيها خطابٌ؛ فهي[3] من هذا الباب. فإن زاد على الخطاب أمرٌ آخر؛ فمِن تحقُّقِه من حضرةٍ أخرىٰ، إذا طلبتَها وجدتَها. وهكذا ربط الله - سبحانه - العادةَ عندنا في الطريق، واقتضته مناسبةُ الحكمة، مع

---

[1] [الإسراء: ٤٤]

[2] س: فكل.

[3] ق، ش، س، ع: يكون خطاب فيها؛ فهو.

جواز التبدُّل عقلًا. فإذا صحّ ما ذكرناه، وليس بشرطٍ وُجودُهُ، بل يكون التحقُّقُ والولايةُ مع عدم هذه الكرامات. ولكن أردنا في هذا الكتاب أن نبيّن مراتبها إذا ظهرتْ، لِيَعلم مَن ظهرتْ له: من أين صحّتْ له؟ وأين مقامها في الحضرات الوجوديّة؟

وإذ قد[1] تقرّر هذا، فلنتنقل إلى ما تيسّر من المنازل لهذا المقام، والله المستعان[2].

منازل هذا العضو

أصلُ حصولِ المنازل: تفريغُ الخاطر من كلِّ شاغلٍ يشغلك عن تحقّقك بما سمعتَ أو رأيتَ أو تكلّمتَ، في أيّ مقامٍ كنتَ من مقامات أعمال الجوارح. فإن لم يتفرّغ الخاطر للسماع: لم تتفرّغ الأعضاء للتخلّق، وإذا لم يصحّ التخلّق: لم يكن التحقّق. والتحقّق له مقامات متفاضلة، وهو الذي أردناه بالمنازل.

فاسْعَ - يا بنيّ - في تفريغ الخاطر للسماع المراد منك، في أيّ مكان كنتَ، من خلأ أو ملأ. إن لم يضرّك الملأ ووَجَدْتَ: فلا حرج عليك في مجالسته. وإن حُرِمْتَ من أجله: فالزم الخلوة فهي خير جليس، حتى يتقوّىٰ حالك. فإذا مازَجَك السماع امتزاجَ العَرَض اللازم للجوهر: حينئذٍ لا تبالي بالملأ ولا غيره. فإذا انتقلتَ إلى المنازل: تولّاك الحقُّ بعنايته، وطرد عنك كلّ خطابٍ خارجٍ، يعني لا يحجبك، وصار الخطابُ لك من نفسِك على قدر مقامك، منزلةً بعد منزلةٍ، وحالًا بعد حالٍ، طَبَقًا عن طَبَقٍ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠﴾[3] بما يسمعون ﴿وَإِذَا

[1] ع، ب: وقد.

[2] د (في الحاشية): بلغ مقابلة على المحقق خليفة بقرأة أبي الخيران محمد سبط الموصلي وذا خطه. ع (في الحاشية): "بلغ".

[3] [الانشقاق: ٢٠]

قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾[1].

ناداهم الحقُّ في أنفسهم، من أحوالهم، تشريفًا بأسرارهم، فعرفوا حقائقَ العبوديّة، فلزمهم ما تقتضيه حكمةُ العبوديّة؛ فوجب عليهم السجود؛ النزول[2] إلى ذواتهم، فَتُرزق حينئذٍ الفهم عن الله منك به. فلا ينادي[3] بأمر من الأمور مِن سرٍّ أو حالٍ منك، إلّا وُهِبْتَ روح ذلك المنادىٰ به؛ فتكون صاحب سماع، وما حظّك منه، وما حظّه في الوجود، وعلى كم مرتبة ينقسم. فلا تزال هكذا تتردّد في أطوار السماع من المقامات المحمّديّة الحاصلة في الإنسان. هكذا حتّى ينتهي بك إلى سماع الأشياء منك أيضا، من المقامات الإلهيّة، مقامًا[4] بعد مقام، حتى ينتهي[5] إلى ما قُدِّر لك في هذه الدار. ثمّ هذه الصفة لا تزال بك حتى تسمعك الكلامَ القديم حيث أراد - سبحانه - من الوجود.

فإن قلتَ: وإذا كان غدًا، ونسمع كلام الله - سبحانه - القديم، شاركني فيه كلُّ سامعٍ هناك؛ فأين الاختصاص الذي أورثني هذه الصفةُ، حتى أزالتني عن درجة البُلْهِ؟

فاعلم أنّ الذي قلتَ صحيحٌ، إلّا أنّ الاختصاص والفائدة ليس في أنّ الحقَّ يكلّمنا فقط، وإنّما الفائدةُ فيما يكلّمنا به، وفيما نفهم[6] عنه. واللذّةُ على قدر الفهم. فهنالك يقع التفاضل، ويتميّز المختصُّ من غيره، و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾[7].

---

[1] [الانشقاق: ٢١]

[2] ب، ز: والنزول.

[3] ق، ع، س: تنادىٰ. ش: حروف مهملة.

[4] د: مقام.

[5] ش: إلى أن ينتهي. ب: تنتهي، وغير واضحة في ق.

[6] س، ب: يفهم.

[7] [المؤمنون: ٥٣]

فكلُّ مَن تحقّق بسماعه من وراء حجابه، وتخلّق على ذلك القدر، يسمعه[١] على الكشف وارتفاع الوسائط، فكنْ من أيّ حزبٍ يراد بك بمشيئة التكليف[٢].

فالعبـد المحقّق في السماع، لا يزال يسمعُ بالحقّ[٣] حتى يَسْمَع الحقُّ به، حتى لا يَسمَع ولا يُسمع، فيبقى الحقُّ يَسمعُ الحقَّ[٤] على وجهٍ مّا، والعبدُ في الحقِّ موجود، في الحقيقة مفقودٌ.

حقّقنا الله بحقائقه.[٥]

---

١ د، س: بسمعه.

٢ ق، ز: بمشيئته في التكليف.

٣ ق، ع، س، ش، ب، ز: + حتى يُسْمِعهُ الحقُّ.

٤ س: – يسمع الحق.

٥ ق (في الحاشية): بلغ قراءة سماعا لابن إسحق بقراءته على شيخه المنشئ لهذا الكتاب رضي الله عنه. ع (في الحاشية): بلغ، ز (في الحاشية): بلغ في الحادي عشر، حقق الله له منه حقيقته...

الفلك اللساني

إِنَّ اللِّسَانَ رَسُولُ القَلْبِ لِلْبَشَرِ ... بِمَا قَدَ أَوْدَعَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ دُرَرِ

فَيَرْتَدِي الصِّدْقَ أَحْيَانًا عَلَى ... وَيَرْتَدِي المَيْنَ[1] أَحْيَانًا عَلَى خَطَرِ[2]

كِلَاهُمَا عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ لَهَبٌ ... لَا يَعْقِلُ الحُكْمَ فِيهِ غَيْرُ مُعْتَبِرِ

فانْظُرْ إِلَى صَادِقٍ طَابَتْ مَوَارِدُهُ ... وَكَاذِبٍ رَائِحٍ غَادٍ عَلَى سَقَرِ

مَعَ اتِّحَادِهِمَا والكَيْفُ مُجْهَلَةٌ ... مِنْ سَائِلٍ: كَيْفَ حُكْمُ الحَقِّ فِي البَشَرِ

اعلم - يا بُنيّ، وفّقك الله، وعصمك من آفات اللسان وزيادة الحديث - أنّ اللسانَ أَمْلَكُ شيء للإنسان، سريعُ الحركة، حركتُه أقرب إلى الهلاك منها إلى النجاة، كثيرُ العثرات. قال - عليه السلام -: «وهل يَكُبُّ الناسَ على مناخرهم في النار إلّا حصائدُ ألسنتهم».

هو ترجمانُ إرادةِ الحقّ بما شاء أن يُجْرِيَهُ في عالم الشهادة، لا ترجمان الأمر، إلّا بالموافقة: فإمّا صادقٌ، وإمّا دجّالٌ؛ لكنّ الحكيم العارف يقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ ﴿١٩١﴾﴾[3]. وإن كان كذبًا أخذ الحكيمُ منه حِكمتَه، ويبقى على الكاذب كَذِبُهُ. على أنّه ليس في الوجود باطلٌ أصلًا، وإنّما الوجود حقٌّ كلّه، والباطل إشارةٌ إلى العدمِ إذا حقّقتَه.

واعلم أنّ اللسانَ قلمُ القلب؛ تكتب[4] به يمينُ القدرة ما تملي عليه الإرادةُ من العلوم؛ في قراطيسِ ظاهرِ الكون. وإلى هذا المقام أشرتُ بقولي:

---

[1] المين: الكذب.

[2] رسمها في س يقرب من: "حظر"، وهي في ع: حطر.

[3] [آل عمران: ١٩١]

[4] ع: يكتب.

قَلَمِي وَلَوْحِي فِي الوُجُودِ يُمِدُّهُ   قَلَمُ الإِلَهِ وَلَوْحُهُ المَحْفُوظُ
وَيَدِي يَمِينُ اللهِ فِي مَلَكُوتِهِ   مَا شِئْتُ أُجْرِي وَالرُّسُومُ حُظُوظُ

وقلبُ[1] العبدِ هو محلّ الإلقاء الإلهيّ من خيرٍ وشرٍّ شرعًا، وهو لوح المحو والإثبات ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾[2].

فيخطر للعبد خاطرٌ بأن يفعل أمرًا مّا من الأمور، ثمّ ينسخه خاطر آخر، فيُمْحَى[3] الأوّل ويُثبت الثاني، وهذا ما دام العبد متّهِمًا لخواطره، محجوبًا عن كشف الإلقاء الإلهيّ الخصوصي. فإذا أُيِّدَ بالعصمة إن كان نبيًّا، أو بالحفظ إن كان وليًّا، عاد قلبُه لوحًا محفوظًا مقدَّسًا عن المحو. فإن ظهر ممّن هذا مقامُه محوٌ، في ظاهر الكون، بعد إثباتٍ، وهو عن أمرٍ يقوم بالقلب من الحقّ، فلا يقال فيه: "إنّه لوحُ محوٍ وإثباتٍ" لأنّه صاحبُ كشفٍ، وإنّما وقع المحوُ في ظاهر الكون، وبقيت حِكمته في القلب.

وإنّما سمّينا هذه المقامات بهذه الاسمية[4]، لكون الإنسانِ نسخةً من العالَم الكبير. فأردنا أن نعرّفك أين موضع اللوحين في الإنسان، المقابلَين للَوْحَيِ العالَم الأكبر، وكيف يكون؟ ومتى يكون؟

فالكلام - عافاك الله من موارده - عملٌ من الأعمال يحصيه الملَك، كما قال - تعالى -: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[5]، ثمّ يصعد به في المساء والصباح إلى الواحد جل جلاله. فما كان له خالصًا - سبحانه - ألقاه في عِلّيّين، وما كان غير خالصٍ بنوعٍ مّا من أنواع الكدر؛ مثل الزيادات في الحديث، والكذب، والرياء، والمِراء، والجِدال في نصرة الباطل؛ ألقاه في سجّين. قال -

---

[1] ع، ب: وقلت.
[2] [الرعد: ٣٩]
[3] د، ش: فينمحي.
[4] ع: التسمية.
[5] [ق: ١٨]

تعالى -: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾[1] وقال: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾﴾.[2] وسأذكر منزلة الكاتبين وبقيّة الكتب في آخر هذا العضو - إن شاء الله -، وأين مراتبها في الوجود، وأنّه حيثما كان كتابك نوديتَ يوم القيامة أن تقرأَه حيث هو، إلّا أن يعصم اللهُ، وهو خير الحافظين.

واعلم أنّ اللسان إذا تحقّق في مراعاة ما توجّه عليه من الشارع، ووقف عند ما حُدَّ له، فاشتغل بالواجب عليه فيه - كشهادة التوحيد - وقراءة القرآن في بعض المواطن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإصلاح ذات البين، وشهادة التعيين، وتدريس العلم، وإرشاد الضالّ، ورَدّ السلام، إلى ما أشبه؛ هذا كلّه من التقريبات[3] في النطق المقرِّب إليه كتلاوة القرآن، ودوام التسبيح والتحميد، وجميع الأذكار والمواعظ. كما يجب عليه الكفُّ عن التضريب بين الناس، والفِرية، والهُجر من القول، والنميمة، والغيبة، وكلُّ نطقٍ مذمومٍ شرعًا.

فإذا تحقّق العبدُ بهذه الأوصاف على ما حُدّ له، كان مالكًا للسانه، وشهابًا ثاقبًا لشيطانه، ويُسمّى هذا صاحبُ لسانٍ، وله كراماتٌ ومنازلُ، كما تقدّم في أصحابه من الأعضاء.

ومنازله العالية المرادة بالعبد منزلتان لا شيء فوقها:

المنزلة الأُولَى: أن تتلوَ على الحقّ - جلّ وعلا - كتابَه على حدّ ما وضعه ورسمه للعارفين المتحقّقين، كما سنبيّن لك في داخل الباب.

والمنزلة الثانية: أن يتلو الحقُّ عليك كتابَه على حدّ ما يريده وأنت تسمعُ. وكان الأَوْلَى، على ما اشترطنا، أن نلقى[4] هذه المنزلة في إدراك السمع. فإنّ العبدَ هنا سامعٌ لا متكلّم، ولكن للاشتراك الإلهي في التلاوة التي تقف عليها - إن شاء الله

---

[1] [المطففين: ١٨]

[2] [المطففين: ٧]

[3] في سائر النسخ ما عدا د: الترغيبات.

[4] ب، ع: نُلقِي.

تعالى - أخّرناها إلى هذا الفصل.

الكرامات

فمنها: مكالمته للعالَمِ الأعلى، ومحادثته لهم. فإنّ العبدَ قد يتحقّق بالسماع، فيكون ممن يُنادَىٰ ويُهتَف به، وإذا كَلَّم لا يُرَدّ عليه. فإذا صحّت المكالمة بينه وبينهم، وتنازعوا الحديث: فما كان من حديثه لهم فمِن تحقُّقِه بلسانه، وما كان من حديثهم له فمن جهة تحقُّقه بأذنه، وما كان من مشاهدته لهم فمن جهة تحقُّقه ببصره، وهكذا في جميع الأعضاء المذكورة، وذلك للمناسبة التي بينهم، وبين الترتيب الحِكميّ الاختياري. فمن ترتَّب ورتَّب فذلك الحكيمُ، فذلك الحكيم.[1]

ومنها أيضًا: نُطقُه بالكون قبل أن يكون، والإخبار بالمغيّبات والكائنات قبل حصول أعيانها في الوجود. وهي عند القوم - رضي الله عنهم - على ثلاثة أضرُبٍ: إلقاء، وكتابة، ولقاء.

وكان بَقِيّ بن مَخْلِد - رحمه الله - قد جمعها، وكان صاحبا للخضر، شُهِر هذا عنه، وعاينّا من الرجال الذين صفتهم هذه جماعةً، وشاهدناها من ذاتنا غير مرّة. ومن هذا المقام ينتقلون إلى مقامٍ كريمٍ، يقولون فيه للشيء: "كُن" فيكون بإذن الله - تعالى -.

مقامٌ كريم ومشهدٌ عظيم ناله عيسىٰ - عليه السلام - في إحياء[2] الموتى، وإبرائه الأكمهَ والأبرصَ، كلّ ذلك بإذن الله. وكذلك إبراهيم - عليه السلام - حين صارَ[3] الأطيار، وجعل على كلّ جبل منهنّ جزءا، بعد ما قطّعهنّ، ومزج لحومهنّ بعضها[4] ببعض، ثمّ جعل على كلّ جبل منهنّ جزءا، ثمّ دعاهنّ فأتينه

---

[1] ع، ب: - فذلك الحكيم.

[2] في سائر النسخ ما عدا ق: إحيائه.

[3] من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

[4] ق: بعضا.

سعيًا، كلّ ذلك بإذن الله. وليس في قضيّة العقل ببعيدٍ أن يُكرِمَ اللهُ وليًّا من أوليائه بهذه الكرامة، ويُجريها على يديه، فإنَّ كلَّ كرامة ينالها الوليُّ، أو تظهر على يديه فإنّ شرفَها راجعٌ إلى النبيّ ﷺ؛ فإنّه باتّباعِه ووقوفِه عند حدوده، صحّ له ذلك الأمرُ.

وهذه المسألة فيها خلافٌ بين العلماء: منهم مَن يُثبت معجزةَ النبيِّ كرامةً للوليّ، ومنهم من ينفي ذلك، ومنهم من يثبت للوليّ كلَّ كرامة لم تكن معجزةً لنبيّ. وأمّا أصحابنا فلم يتمكن لهم أصلًا نَفيُها[1]؛ لمشاهدتهم إيّاها في أنفسهم وفي إخوانهم؛ فهم أصحاب كشفٍ لها وذوقٍ. ولو ذكرنا ما شاهدنا منها، وما بلَغَنا عن الثقات[2] منها؛ لَبُهِتَ السامعُ، وربّما رمى به؛ وذلك لقصوره بنظره لنفسِ مَن أَظهرها اللهُ على يديه وشخصِه، واحتقاره له. فلو تكمّل؛ بأن ينظرَ للفاعل القادر المختار - سبحانه - الذي أجراها على يديه؛ لم يكن ذلك عنده بكبير.

ولقد رأيتُ شخصًا من فقهاء زماننا يقول: "لو عاينتُ أمرًا من هذه الأمور على يَدَيْ أحدٍ لقُلتُ: إنّه طرأ فسادٌ في دماغي، وأمّا أنّه جرى ذلك فلا، مع جواز ذلك عندي. وإنّ الله - تعالى - إذا شاء أن يجري ذلك على يَدَيْ مَن شاء أجراه." فانظر - يا بنيّ - ما أكثَفَ حِجاب هذا، وما أشدَّ إنكارَه وجهله! أخذ الله بأيدينا وبيده آمين، ونوّر بصيرته.

ثمّ نرجع ونقول: إنّ هذه[3] الانفعالات الإلهيّة المختصّة بالوجود على يدي هذا الشخص الإنساني على مراتبها، أصلُها الذي ترجع إليه قوى نفسيّة تسمّيها الصوفيّة: "الهِمّة"، وبعضهم يُسمّيها: "الصدق[4]" فيقولون: "فلانٌ أحال همّته على

[1] د: نفيها أصلا.

[2] ش، س، ع، ب، ز: الثقة.

[3] د: – هذه.

[4] أي أن القوة الكامنة المحركة لاظهار الكرامة يسميها البعض الصدق وهي حالة القلب في

أمرٍ مّا فانفعل له ذلك، وفلانٌ صدَق في أمرٍ مّا[1] فكان له ذلك".

وهذه الصفة يشترك فيها النبيُّ والوليّ[2]، واثنتان لها[3]:

الواحدة: إنّ العلم الكسبيّ يحصل للنبيّ والوليّ من غير اكتساب، بل يعطَى الدليل والمدلول ابتداءً من غير نظرٍ فكريّ.

والأخرى: إنّ الذي يراه النّاس في النوم، يراه النبيُّ[4] والوليّ في اليقظة.

والثالثة: الهمّة التي نحن بسبيلها، وأنّه كلّ ما لا يَتوصّل إليه شخصٌ إلّا بجسمه، أو بسببٍ ظاهرٍ عليه، يَتوصّل إليه النبيّ والوليّ بهمّته، وزيادة، وهي الأمور الخارجة عن مقدور البشر رأسًا كالأمور التي تقدّم ذكرها.[5]

واعلم أنّ وجود هذه الهمّة في العبد على نوعين، ولها مرتبتان:

١. همّةٌ تكون في أصل خِلقة العبد وفي جِبلّته.
٢. وهمّةٌ تحصلُ له بعد أن لم تكن.

ومِن أصحابنا مَن يراها في الجِبلّة رأسًا.

فإن قال قائل: كيف هي في الجِبلّة، ونراها لا تكون له إلّا بعد حين حصول التميز والتخلُّق، وهذان مقامان؛ فاعلَم!

قلنا له: ليس الأمر كذلك؛ بل هي في جِبلّة مَن أراد اللهُ أن يخلقَه عليها، لكن لا يَشعر بها بعضهم أنّه عليها، ويصرّفها في غير ما ذكرناه من الخارق للعادة. فإذا عَلِمها مِن نفسِه، صرّفها فيما أراده من الموجودات؛ كنطق عيسى – عليه السلام – في المهد بأمر الله، وهمّة مريم، وشاهِد يوسف – عليهم السلام –. ألا

التوجه.

[1] ش: – وفلانٌ صدَق في أمرٍ مّا.

[2] ق، د، س: النبيَّ الولي. ش: الولي النبي.

[3] س: لهما، وزاد ب: معها إذ لها معا. ش: معها.

[4] د: النبيون.

[5] ع (في الحاشية): بلغ

ترىٰ صاحبَ العين يتقوّىٰ عنده تخيّلًا، حاكماً به حصول الحملِ في القِدر، والطفل في القبر،[1] فيكون ذلك. وهذه صفةٌ أَثبتها الشرعُ، وتعوّذَ منها.

ولكن الفرق بيننا وبين طائفة أخرىٰ، أنّها عندنا كلّها أسبابٌ، يفعلُ الحقُّ – سبحانه – الأشياءَ عندها لا بها، وغيرُنا يعتقد خلاف هذا، وأنّ الأسبابَ هي الفاعلة.

ومن هذا الباب؛ أعني انفعالَ الأجسام للهمم، التّي هي القوىٰ النفسيّة، أنّا نرىٰ شخصًا قد ملكه الوهمُ في أمرٍ مّا، حتّى قضىٰ عليه. مثال ذلك: شخصٌ نُصِب له لوحٌ عرض شبرٍ أو شبرين، من حائطٍ إلى حائط، بينهما فراغٌ بعيد، فيتكلّف المشي عليه. فعندما يرىٰ الهواء تحته، يتخيّل في نفسه السقوط في الأرض. فإذا تقوّىٰ عليه هذا الوهم، وغَلب؛ أسقطَ الجسم لحينه في الأرض، وقد كان ذلك الشخص يمشي علىٰ عرض كفٍّ أو إصبع في الأرض، ولا يقع ولا يسقط. ومثل هذا كثير.

ومنها أحوالُ المريدين والقشعريرةُ. ولو نظرتَ بعين العلم، لرأيتَ أنّ كلَّ حركة في الوجود، أصلُها هذا، لكنّه يَغْمُض. فهذه القوىٰ الإلهيّة المركّبة في النفوس أُسُّ خَرْقِ العوائد علىٰ مراتبها.

ومن هذا الباب؛ ما نشاهده من بعض أشخاصٍ، جبلَهم اللهُ علىٰ الدُّعابة، بحيث إذا تكلّموا، أثّروا في نفوس السامعين لهم طربًا شديدًا وضحكًا، حتى يظهر ذلك علىٰ أجسامهم؛ ويضحك الملوك في محالِّ توقيرهم، ولا يستطيعون أن يملكوا ذلك الطرب أن لا تنفعل له الأجسامُ انفعالًا عظيمًا، لانطباعه في النفس انطباعًا، لم ننظر[2] معه إلى سِواه، وقد نجد مَن يأتي بذلك الكلام بعينه ولا تكون

---

[1] أي وقوع الحسد علىٰ المحسود وأثر الحسد أنه قد يميت المحسود.

[2] ع، ب: ينظر. ش: بغير النقط.

عنده هذه القوّة فيستثقَل[1].

وأعجب من هذا؛ أن توجد عن هذه القوّة همٌ فعّالةٌ على السماع من غير مشاهدةٍ لها؛ كقوم أُخبروا عمّن هذه صفته؛ فاستطرفوا[2] أخبارَه، وتاقت نفوسُهم إلى سماعها منه، فيأتيهم شخصٌ يقال لهم: "هذا فلان الذي كنتم تتمنّونه" وليس هو. فعندما يتكلّم بكلام مستثقَل، وُجِد عند ذلك طربٌ عند هؤلائك[3]!. وليس طربهم بما تكلّم في التحقيق[4]، وإنّما أطربهم تخيُّلهم الثابت في نفوسهم، المانع لهم من النظر فيما تكلّم به هذا الشخصُ، وقياسُه على ما سُمِع من أخباره. بل كان ذلك السماع، كسماعهم أصوات الموسيقى، الذي هو صوتٌ مجرَّدٌ، وتأثيرهم فيهم منهم. وهذا هو التعشُّق النفساني الذي يعرفه الحكيم.

فإن قيل: إنّ الساحرَ، أو صاحبَ قوّة نفسيّة، التي هي أُسُّ خرق العوائد عندك، إذا ادّعى النبوّة، وأراد خرقَ عادةٍ، لِصِدْقِ دعواه بقوّته النفسيّة، وقد دلّ الدليل على أنّ ذلك الأمرَ لا يقعُ على وفق دعواهُ أصلًا. فلو صحّ أنّ خرق العوائد أصلُها القوّة[5] النفسيّة، لوقع هذا الأمر لهذا المدّعي؛ إذ هو صاحب قوّة.

قلنا: القوى ليست على مرتبة واحدة[6]، بل تتفاضل تفاضلا بيّنًا عند العقلاء. فإذا كان هذا التفاضل؛ فقوى الأنبياء – عليهم السلام[7] – التي وهبهم الحقّ – سبحانه – لم يعطها غيرَهم.

قال المعترض: يدّعي هذا الكاذبُ، في نبوّته، بخرقِ عادةٍ تكون تحت قوّته، بحيث يصدق في دعواه!.

---

[1] ع: يستقل. ق، ش، س، ز: يستثقل.

[2] س: فاستطرفوا، ز: واستطرفوا.

[3] ق، ش، ز، ب: هؤلاء.

[4] ش: تكلم به في الحقيقة.

[5] ق، ش، ب: القوى.

[6] ع، ب: – واحدة.

[7] ق، ش، س، ز، ع: – عليهم السلام.

قلنا: لمّا دلّ الدليل على إحالة ذلك، لا بدّ من وجود أحد أمرين:

إن كانت[1] في الجِبلّة تلك القوّة؛ حجبه الله – سبحانه – عن إيقاع ما مَلّكها إيّاه بأمرٍ عارضٍ لم يشعر به هذا المدّعي. وإن لم تكن في الجِبلّة، وكانت مكتسَبةً كما يرى بعضهم، فإنّ الله قد أعدمها من ذلك المحلّ، بخلق ضدّها، كما فعل – سبحانه – في نار إبراهيم – عليه السلام – فقال لها: ﴿يَا نَارُ[2] كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[3]. فلو ترك النار لأحرقته؛ إذ حقيقةُ النار الإحراق. فأعدمها، وأوجد البرْدَ.

كذلك تلك القوّة، فلا سبيل إلى قلب الحقائق. فإنّه لو صحّ أن تنقلبَ عين حقيقةٍ مّا، لانقلبت الحقائق كلّها، جوازًا عقليًّا يُقضى به، وما بقي بأيدينا علم أصلًا؛ لعلّه قد انقلبت[4] حقيقة المعلوم، ولم يثبت توحيد في قلب أحدٍ أصلًا؛ لعلّ مَن قام الدليل له على توحيد أمرٍ مّا قد زال عن وحدانيّته، وهذا لا سبيل إليه.

ومما يؤيّد ما ذكرناه قول رسول الله ﷺ: «إذا أراد اللهُ إنفاذَ قضائه وقدره سَلَبَ ذوي العقول عقولَهم حتى إذا أمضى قدره فيهم رَدَّها عليهم ليعتبروا» فلو بقي[5] لهم العقل لبقي لهم النظر.

منازل هذا العضو

اعلم – يا بُنيّ – أنّك لا تَعرف منازل التلاوة، ما لم تَعرف الكتب المتلوّة بأعيانها. فإذا عرفتها حينئذٍ؛ عرفتَ كيف تتلوها، وكيف تسمعها ممن يتلوها عليك، فتحقّق والله المرشد.

---

١ ش: تكون.

٢ ش: – يا نار.

٣ [الأنبياء: ٦٩]

٤ د: حقيقة.

٥ د، س، ع، ز: أبقى.

أسماء الكتب المنزلة[1]:

المنير، والمبين، والمحصي، والعزيز، والمرقوم الحكيم، والمسطور الظاهر، والمسطور الباطن، والجامع.

تعيين أربابها القائمين بها:

فالمنير: لأهل الحجج.

والمبينُ: لأهل الحقائق.

والمحصي: لأهل المراقبة.

والعزيز: لأهل العصمة.

والمرقوم الحكيم: للمرسَلين والورثة.

والمسطور الظاهر: تأويلًا واعتبارًا لأهل الإيمان.

والمسطور الباطن: اعتبارًا أيضًا لأهل الإباحة.

والجامع: للروحانيّين الملكيين.

علامات التالين لها على الحضور:

فمن ادّعى أنّه تلا المنير؛ علامته المكاشفة.

ومن ادّعى أنّه تلا المبين؛ علامته التميز والحكم والترتيب.

ومن ادّعى أنّه تلا المحصي؛ علامته الوقوفُ عند الحدود.

ومن ادّعى أنّه تلا العزيز؛ علامته أن يجهل مقامه.

ومن ادّعى أنّه تلا المرقوم الحكيم؛ علامته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتسليم لله في كلّ حال.

ومن ادّعى أنّه تلا المسطور الظاهر؛ علامته المجاهدة.

---

[1] في سائر النسخ ما عدا د: أسماء الكتب؛ كتاب المنير.

ومن ادّعى أنّه تلا المسطور الباطن؛ علامته الزندقة.

ومن ادّعى أنّه تلا الكتاب الجامع؛ علامته الخروج عن البشريّة ولحوقه بالرتبة الملكيّة، كأبي عقال وغيره[1].

علاماتُ مَن تلاها الحقُّ عليه:

وليس من هذا الباب، وإنّما هو من باب السمع. فاعلم – يا بنيّ – أنّه:

مَن تُلي عليه المنير؛ قمع هواه.

ومَن تُلي عليه المبين؛ شاهَدَ معناه.

ومن تُلي عليه كتاب الإحصاء؛ سلَك طريقَ هُداه.

ومن تُلي عليه العزيز؛ احتمى ذراه[2].

ومن تُلي عليه المرقوم الحكيم؛ بلغ مُناه.

ومن تُلي عليه ظاهر المسطور؛ فاز برحماه.

ومن تُلي عليه باطن المسطور؛ كان الشيطان مولاه.

ومن تُلي عليه الجامع؛ لم ينظر سواه.

---

[1] د: ونحوه. ز (في الحاشية): بلغ، في ... أوليائه...
[illegible]

المنزل الأوّل: تلاوة العبد على الحقّ تبارك[1] وتعالى[2]

لعلك تشتهي - يا بنيّ - أن ترتسم[3] في التالين لهذه الكتب على الحقّ - تعالى - بأن تمرّ على حروفه، وتكون فيه حالًّا مرتحِلًا، وأنت لا تَعقل معناه، ولا تقف عند حدوده، أو تتخيّل أن يقول لك الحقُّ - تبارك وتعالى - عند قولك ﴿الْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾﴾[4]: "حمدني عبدي"! لا واللهِ - يا بنيّ - ما يراجِعُ الحقُّ - سبحانه - بقوله: "حمدني عبدي" و"أثنى عليَّ عبدي" إلّا أهلَ الحضور معه عند التلاوة؛ بأنّه المناجي نفسَه بفعله، والمناجي بإحاطتِه وذاتِه، وأهلَ التدبّر والتذكّر لما أودع في كلامه العزيز من الأسرار والعلوم؛ كلُّ عبد على قدر مقامه وذوقه وكشفه. قال تعالى : ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾[5] وقال: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴿٦٠﴾﴾[6].

بل أقول: إنّ مَن قعد على منهج الاستقامة، وكانت حِليتهم الطاعة، وكان اللسان صامتًا عن تلاوة القرآن؛ فإنّه حامِدٌ لله بحاله، شاكِرٌ له بأفعاله، ويقول الله فيه: "حمدني عبدي". فإذا كان اللسانُ يقول: "الحمد لله" والقلبُ في الدكان، أو في الدار، أو في غَرَض من الأغراض، متى عرف مَن هذه[7] صفته أنّه يحمد الله؟! وكيف يكون ذلك، والقلب غافلٌ بما هو عليه، عمّا جرى به لسانُه؟.

فإذا وفّقك الله، وتريد أن يسمع الحقُّ - جلّ اسمه[8] - منك تلاوتَك،

---

[1] د: - تبارك.

[2] ع: أثبت في الحاشية عنوانا صغيرا هو: "مطلب حقيقة التالين."

[3] س، ع: ترسم.

[4] [الفاتحة: ٢]

[5] [ص: ٢٩]

[6] [البقرة: ٦٠]

[7] ق، ش: هذا.

[8] د: سبحانه.

ويرسمك في ديوان التالين، ويقول لك على الكمال: "حمدني عبدي" فاعلم منازلَ التلاوة، ومَواطِنَها، وكم التالين منك؟ وذلك بأن تعلم أنّ على اللسان تلاوةً، وعلى الجسم بجميع أعضائه تلاوةً، وعلى النفس تلاوةً، وعلى القلب تلاوةً، وعلى الروح تلاوةً، وعلى السرّ تلاوةً، وعلى سرّ السرّ تلاوةً.

- فتلاوةُ اللسان: ترتيل الكتاب على الحدّ الذي رتّب المكلِّف له.
- وتلاوة الجسم: المعاملات على تفاصيلها في الأعضاء التي على سطحه.
- وتلاوة النفس: التخلُّق بالأسماء والصفات.
- وتلاوة القلب: الإخلاص، والفكر، والتدبّر.
- وتلاوة الروح: التوحيد.
- وتلاوة السرّ: الاتّحاد.
- وتلاوة سرِّ السرّ: الأدب، وهو التنزيه الوارد عليه في التلقّي منه – جلّ وعلا –.

فمَن قام بين يدي سيّده بهذه الأوصاف كلِّها؛ ونظر[1] إليه – جلّ اسمه – فلم يَر جزءًا منه فردًا إلّا مستغرِقًا فيه على ما يرضاه منه؛ كان عبدًا كلّيًّا، وقال له الحقُّ إذ ذاك: "حمدني عبدي" أو ما يقول؛ على حسب ما يَنطق به العبدُ قولاً أو حالًا. فإن كان فيه بعض هذه الأوصاف، وتعلّقتْ غفلةٌ ببعض التالين، فليس بعبدٍ كلّيٍّ، ولا يكون فيه للحقّ من عبوديّة الاختصاص، إلّا قدر ما اتّصفتْ به ذاتُه.

فَثَمَّ عبدٌ يكون لله فيه السدس ولهواه ما بقي، ولله فيه الخمس ولهواه ما بقي، والربع والثلث والنصف، على قدر ما يحضر منه مع الحقّ من حيث هو، ومن حيث نودي، كما جاء في الصلاة أنّه لا يقبل منها إلّا ما عَقَلَ منها: عُشرها،

---

١ د: + الله.

تُسعها، ثمنها، سُبعها، سُدسها، خمسها[1]، ربعها، ثلثها، نِصفها. فإن حضر بالكلّ حصل له الكلّ؛ فإنّ مجيء الحقّ لك على قدر مجيئك له[2]. أليس الله يقول: «مَن تقرّب إليّ شبرًا تقرّبت إليه[3] ذراعًا، ومَن تقرّب إليّ ذراعًا تقرّبت منه[4] باعًا، ومَن أتاني يسعى أتيته هرولة» فالسعي إلى السعي هرولة.

وفي هذا الحديث فائدتان:

الواحدة: أنّه يعطي فوق ما يتمنّى العبدُ. مصداقُ ذلك قول رسول الله ﷺ: «إنّ في الجنّة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» فقد أعطانا ما لم يدخل تحت عِلمنا، والإرادةَ شرطٌ في العلم.

والفائدة الأخرى، المتعلّقة بما كنّا بسبيله، من أنّ مجيء الحقّ بالجود لك، على قدر مجيئك له؛ فإذا تقرّبتَ إليه شبرًا تقرّبَ إليك بجوده ذراعًا، ولكن بمَن[5] تقرّبت إليه شبرًا. فهو الذي تقرّب إليك - عناية منه بك - بهذا الشبر الذي تقرّبتَ إليه به، ثمّ تقرّب إليك ثوابًا وجزاءً على ذلك الشبر الأوّل، شبرًا آخر فضلًا أيضًا، فكان من كليهما ذراعٌ، وهكذا ما بقي؛ فهو المقرِّب إليه بفعله. فكأنّه ينبّهك، ويقول لك بقوله "تقرّبتُ إليه[6] ذراعًا": يا عبدي؛ إذا تقرّبتَ إليّ، فاشهدني في تقرُّبك مقرِّبًا لك إليّ، آخِذًا بناصيتك، وأنت كالمائت[7] لا فعل لك، ثمّ أجازيك على ذلك بمثل ما جئتَ به: فإن جئتُ بك إليّ بخيرٍ جئتُ إليك بخير، وإن كان ما سوى ذلك فأنا الحَكَمُ العدل، وإنّما أعمالكم تُرَدُّ عليكم. وهذا الوجه غامضٌ جدًّا يُتصوّر عليه اعتراضٌ؛ ولكن إذا حقّقتَ ما أشرنا إليه، ارتفعَ

---

[1] د: – خمسها.

[2] ع، ز: إليه.

[3] س: منه.

[4] ز، ب: إليه.

[5] ع، ز: من. وغير واضحة في ق.

[6] ع، ز: إليك.

[7] ع، ز، ب: كالميت.

الاعتراض. فابحث عنه، وحقّقه في نفسِك، فإنّه من أرفع المنازل في هذا المقام.

فانظر -يا بنيّ- أين تجعل همّتَك؟ وكيف[1] تكون مع الحقِّ الذي إليه مَرَدُّك؟ فإنّك لا تجد عنده إلّا ما قدَّمتَ. وقد علمتَ المنازل: فإمّا عبدًا كلّيًّا، وإمّا جزءَ عبدٍ.

فتدبَّر هذه التلاوة، وألزِمها نفسَك، في حركاتك وسكناتك؛ فلا تتحرّك إلّا بالله، ولله، ومع الله، وفي الله، وإلى الله، وعن الله، ولا تسكن إلّا على هذا الحدّ:

- فبالله؛ من حيث تولّيه لك في ذلك.
- ولله؛ من أجله لا من أجلك.
- ومع الله؛ من حيث المشاهدة والمراقبة.
- وفي الله؛ من حيث الفكر والتدبّر.
- وإلى الله؛ من حيث التوجُّه والقصد.
- وعن الله؛ من حيث التكليف.

فهكذا فلتكن في تلاوتك؛ فإنّه – سبحانه[2] –: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾.[3] فلا يطّلعُ عليك في سرّك ولا علانيتك على ما لا يرضاه منك، وإن كان هو الفاعلُ – سبحانَه – الموجِدُ لذلك الفعل. فالزم ما كُلِّفْتَهُ من الأدب، وما تقتضيه الحضرة الإلهيّة من الجلال والتعظيم.

واعلم أنّ الله – تعالى – خلَقَ الأفعالَ كلّها، ثمّ قسّمها – سبحانه – إلى مذموم وإلى محمود؛ فانظر حيث يقيمك:

- فإن أقامك في مذموم؛ فاعلم أنّك في الوقت ممقوتٌ، فاستدرِكِ الإقالة، وتضرّع في الإنابة.
- وإن أقامك في محمود؛ فاعلم أنّك في الوقت محبوب.

---

١ ش: – كيف.

٢ د: + تعالى.

٣ [طه: ٧]